جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية التربية – قسم اللغة العربية

قضايا اللغة في مقدمة ابن خلدون

Language Issues In Muqademat Ibn Khuldoon

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب

علي محمد ردم بلّي

إشراف الدكتور

مبارك حسين نجم الدين

العام الجامعي

(1438هـ) / (2017م)

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

ٹ ٹ ڑ
ڇ ڤ ڤ ڤ ڤ ۆ ۆ ۇ ۇ ۋ ۋ ۉ ۉ ې ې ې ڇ

صدق الله العظيم

سورة طه الآيات ﴿25-28﴾

قال صلى الله عليه وسلم:

((إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً))

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخرجه مسلم

إهداء

إلى من شملني بالرعاية.....

لارتقي سلم العلم والمعرفة .....

إلى والدي العزيز رمز الصبر والإباء والشموخ وعزة النفس ....

إلى من دثرتني ورملتني بالعناية والاهتمام وكانت لي سراجاً يضئ عتمة حياة الجهل ...

والدتي رمز التدبير وقوة الإرادة ...

والى

كل من ينطبق عليه حديث أبي الدرداء رضى الله عنه :

" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة "

شكر وعرفان

أشكر الله أولاً وأخيراً على فضله ونعمة أن هدانا وأهدنا بالعزم والصبر على أنجاز هذا العمل، ونزجي أسمي الشكر والعرفان إلى منارة العلم والمعرفة إلى ذلك الصرح الشامخ

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ...

التحية والتجلى موصلتان لأسرة كلية التربية إدارة وأساتذة . وموصلتان أيضا إلى أسرة كلية الدراسات العليا اساتذة.

لا يسعني الإ ان اتقدم بوافر الشكر الجزيل لفضيلة الوالد والوالدة الكريمين والعلامة الدكتور " **مبارك حسين نجم الدين** " الذي أشرف على البحث وتصحيحه والذي استفدت كثيراً من آرائه وإرشاداته فله من الله الكريم جزيل الأجر والمثوبة ومني عاطر الشكر والثناء .

ونخص بالشكر أيضا الدكتورة " **حربية محمد أحمد**،" والى كل من يؤمن بأن الأخلاق لن تكون الإ بالعلم .

وأن قلت شكراً فشكري لن يوفيـــكم
حقا سعيتم فكان السعي مشكوراً
أن جف حبري عن التعبير يكتبكم
قلبي به صفاء الحـــب تعبيراً

المستخلص

عنوان هذا البحث هو قضايا اللغة في مقدمة ابن خلدون، وقد ركز البحث على تلك القضايا التي أثارها ابن خلدون في مقدمته بدءاً من مفهوم اللغة، والملكة اللغوية، والخط والكتابة وتعليم اللغة العربية والنظر في علوم اللسان وغيرها بوضع ذلك في ضوء علم اللغة الحديث.

وكان من اهم أهداف هذا البحث بيان قضايا اللغة عند ابن خلدون، وشرح مفهوم الملكة اللغوية وملكات الكتابة والإنشاء والأدب في نظر ابن خلدون.

وقد اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي كما أفاد من المنهج التاريخي عند الضرورة.

وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج منها الملكة اللغوية عند ابن خلدون حركية، كلامية، وحركية وكلامية أشار ابن خلدون إلي أهمية المصطلح في تثبيت المفاهيم وتوضيحها.

Abstract

The title of this study is language issues in the Muqadimah by Ibn Khaldun. The study has focused on these issues explored by the author

beginning with language, linguistic, calligraphic craft, writing and Arabic language teaching as well as linguistics according to modern linguists.

The study aimed to investigate linguistic issues raised by ibn khuldun and highlight linguistic faculty, writing and literature.

The research has adopted descriptive methods along with historical approach when needed.

The study has concluded that the linguistic faculty is either act, speech or speech act according Ibn Khaldun who necessitated the role of terminologies in reinforcing and clarifying conceptions.

فهرست الموضوعات

المحتوى	رقم الصفحة

الاستهلال	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
المستخلص	د
Abstract	هـ
الفهرست	و
الفصل الأول:أساسيات البحث	
تمهيد	1
مقدمة البحث	1
موضوع البحث	2
أهمية البحث	2
أهداف البحث	2
مشكلة البحث	3
هيكل البحث	4
الدراسات السابقة	5
الفصل الثاني: مفهوم القضايا اللغوية وتحديدها في مقدمة ابن خلدون	
المبحث الأول: مفهوم الفضايا اللغوية	5
المبحث الثاني: القضايا التي أثارها ابن خلدون	15
المبحث الثالث: **علاقة القضايا اللغوية بعلم العمران في نظر ابن خلدون**	24
الفصل الثالث:قضية اللغة واكتسابها وملكتها في نظر ابن خلدون	
المبحث الأول:مفهوم اللغة في نظر ابن خلدون	28
المبحث الثاني: قضية اكتساب اللغة وتعلمها فى نظر ابن خلدون	34
المبحث الثالث: قضية الملكة اللُغوية ومفهومها عند ابن خلدون	44

الفصل الرابع:اللُغة وعلومها ومهاراتها فى نظر ابن خلدون	
المبحث الأول: اللُغة في نظر ابن خلدون	51
المبحث الثاني: علم النحو فى نظر ابن خلدون	58
المبحث الثالث: الخط والكتابة والمهارة فى نظر ابن خلدون	65
المبحث الرابع: مفهوم الأدب في اللغة والاصطلاح	70
الفصل الخامس: الخاتمة	
النتائج.	87
التوصيات	88
فهرست الآيات القرآنية	89
المصادرالمراجع	92

الفصل الأول

أساسيات البحث

أولاً: الاطار المنهجي

الحمد لله رب العالمين

الناظر لميدان اللغة والتعليم في تراثنا العربي الإسلامي يجد أمامه المجال واسعاً في اللغة وعلومها وتعليمها ومشكلات تعليمها. ولربط الحاضر بالماضي ولاستشراف المستقبل خاصة في مجال تعليم اللغة العربية والتنظير لفروعها المختلفة فقد وقف الباحث على مقدمة ابن خلدون ونظر في مباحثها المتعددة والتي يربط سلك نظمها النظرة الاجتماعية التاريخية لابن خلدون الذي يعد مؤسساً لعلم الاجتماع الحديث والذي سماه في مقدمته العمران البشري.

أطل ابن خلدون على واقعه العربي الإسلامي من خلال حياته في هذا المجتمع متنقلاً من المغرب إلي تونس ومصر ومشاركاً في تقلبات أحداثه بجهاده التتار ومتقلداً مناصب حساسة كمنصب قاضي القضاة، ومن هذه الحيوية الموارة الفاعلة كانت آراء ابن خلدون في اللغة وعلومها ومكانتها ومناهج تعليمها وكان في ذلك شاهداً على عصره ومستشرفاً للمستقبل.

إن نظرات وآراء كأراء ابن خلدون ونظرته في اللغة وعلومها بأبعادها العلمية والاجتماعية لمفيدة لحل إشكالات عصرنا ومجتمعنا العربي خاصة في ترقية تعليم اللغة العربية وتجديد مناهج هذا التعليم وتنمية مهارتها تكلماً وكتابة وقراءةً واستماعاً، فأبصر مشكلات تعلمها وتعليمها ونظر في مناهج تعليمها وفروع علومها وأبصر الغاية والهدف من تلك العلوم المرتبطة باللغة العربية فكانت في نظره أنها علوم آلة، الغرض منها تمكين ملكات اللغة العربية لدي متكليمها ومستمعيها ونظر إلي تلك الملكات على أنها صناعة فكرية جسدية تنمو وتتمكن بالتعليم والتدريب والمران، ونظر للتعليم على أنه صناعة لها اصطلاحاتها ومناهجها ولا تجود مخرجاتها إلا بقدرة وخبرة القائمين عليها.

فالباحث من خلال اطلاعه على هذه المقدمة وماكتب عنها وحولها أراد أن يفيد مما فيها من الآراء اللغوية والمسائل التعليمية والمنهجية ويجمع شتاتها على صعيد واحد لعل ذلك يفيد العلماء والمعلمين والمتعلمين، والله وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مقدمة البحث

جاءت دراستي لموضوع قضايا اللغة في نظر ابن خلدون دراسة تحليلية نقدية عن إدراك ووعي بمدى أهمية هذا الموضوع للبحث في الاختصاص اللغوي من جهة وإزاحة الستار عن هذا

الجانب من كتاب المقدمة , وكذا ابراز مكانة ابن خلدون في الميدان اللغوي والتعليمي من جهة أخرى , كما أن الباحث أراد أن يصل الي تحقيق العلاقة الرابطة للجانب النظري للغة والجانب العملي لها المتمثل في الملكة اللغوية والكيفية التي تظهر بها هذه الملكة اللغوية وتتجلى خاصة في المدرسة كمستوى تطبيقي اصطناعي خاضع للممارسة والمران والمراقبة.

لقد ركز الباحث في هذا البحث علي ثلاث فصول كلها معتمدة على كتاب المقدمة في بداية كل فصل ثم تناولت بعض آراء القدامى والمحدثين اللغويين محاولاً جمع كل ما قاله هؤلاء الذين تحدثوا عن الآراء اللغوية عند ابن خلدون وآرأيه التعليمية من أجل إخراج عمل جامع للمفاهيم اللغوية والتعليمية كجانب نظري والتعليم كجانب عملي تطبيقي لهذا اللسان من جهه , ومدى أهمية الملكة اللغوية ودورها في تحقيق هذين الجانبين النظري والعملي (التطبيقي) للغة في ظل المجتمع بكل أوضاعه وتغيراته ايجابية وسلبية من جهة أخرى.

موضوع البحث

هو قضايا اللغة التي أثارها ابن خلدون في مقدمته بدءاً من مفهوم اللغة العربية والملكة اللغوية والخط والكتابة وتعليم العربية وعلم النحو وغيره والنظر إلى ذلك في ضوء علم اللغة المعاصر.

أهمية البحث

ترجع أهمية هذا البحث لكونه يجمع أشتات آراء ابن خلدون في اللغة العربية ومشكلات تعليمها علي صعيد واحد . ويربطها محاولاً إبراز المبادئ النظرية اللغوية الاجتماعية عند ابن خلدون ولأنه يبرز قدرة ابن خلدون في اللغة وعلومها وطرأيق تعليمها سابقا بذلك المعاصرين من علماء الألسنة الغربيين.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث لابراز عدة أهداف هي :-

1- بيان قضايا اللغة عند ابن خلدون.

2- إيضاح آراء ابن خلدون في قضايا اللغة.

3- شرح مفهوم الملكة اللغوية وملكة الكتابة والبيان والإنشاء في الأدب في نظر ابن خلدون.

4- تحديد رأي ابن خلدون في تعليم النحو.

مشكلة البحث

تتجسد مشكلة هذا البحث في السؤال الرئيس التالي :-

هل في مقدمة ابن خلدون قضايا لغوية اثارها ابن خلدون وأبدى رأيه فيها؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة هي:

1. ما قضايا اللغة التي أثارها ابن خلدون في مقدمته ؟
2. فيم تتجسد تلك القضايا ؟
3. مامفهوم اللغة في نظر ابن خلدون ؟
4. كيف تكتسب اللغة في نظر ابن خلدون ؟
5. ما مفهوم الملكة اللغويه في نظر ابن خلدون ؟
6. هل حأول ابن خلدون أن يعطي اجابات تنظيريه لقضايا اكتساب اللغة وفساد السليقة ؟
7. ما رأي ابن خلدون في مهارة الكتابه؟
8. كيف نظر ابن خلدون للأدب واللغة الفصحي ؟

ثانياً: الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي وصلت إليها يد الباحث

1- النظريات العربية حول حصول ملكةاللغة للباحث حسين ابن زروق وإشراف أ.د الحاج صالح عبد الرحمن وكان تركيز الدراسة علي مفهوم الملكة كقدرة أساس في صياغة الافعال بصفة خاصة من خلال النظريات اللغوية العربية ولم يتعرض الباحث الي الآراء اللغوية والآراء التعليمية الورادة في المقدمة .

2- أما الدراسات غير الجامعية فهناك كثير من الكتاب والعلماء وقد تنأولوا الملكة اللغوية عند ابن خلدون كالدكتور محمد عيد ومشيال زكريا في كتابه (الملكة اللسانية عند ابن خلدون) وعبد السلام المسدي في كتابه (التفكير اللساني في الحضارة العربية) . وقد أفاد الباحث من الآراء المبثوثة في هذه الكتب وغيرها من المراجع والمصادر .

3- كما أفاد من دراسات الماجستير المذكورة أنفاُ بعنوان النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة للباحث حسين ابن زروق غير أن الدراسة الحالية قد امتازت عن غيرها بجمع اشتات أراء ابن خلدون في اللغة وعلومها وآدابها علي صعيد واحد , كما ربطت نظر ابن خلدون إلي مهارات اللغة بمناهج تعليمها ووسائلها.

هيكل البحث

جاء مخطط هذا البحث وفق الهيكل التالي :-

- الفصل الأول وعنوانه أساسيات البحث ويشمل المشكلة والأهمية والأهداف وغيرها.
- الفصل الثاني وعنوانه مفهوم القضايا اللغوية وتحديدها في مقدمة ابن خلدون وشمل المباحث:مفهوم القضايا اللغوية والقضايا اللغوية التي اثارها ابن خلدون، علاقة القضايا اللغوية بعلم العمران في نظرابن خلدون.
- والفصل الثالث وعنوانه قضية اللغة واكتسابها وملكتها في نظر ابن خلدون وشمل المباحث:مفهوم اللغة في نظر ابن خلدون وقضية اكتساب اللغة وتعلمها في نظر ابن خلدون
- الفصل الرابع وعنوانه اللغة وعلومها ومهاراتها في نظر ابن خلدون وشمل المباحث: علم اللغة في نظر ابن خلدون والخط والكتابة والمهارة فيها في نظر ابن خلدون وعلم النحو ومؤلفاته وفائدته في نظر ابن خلدون ومفهوم الآدب وثمرته في نظر ابن خلدون.
- الفصل الخامس وعنوانه النتائج والتوصيات والمقترحات.

الفصل الثاني

مفهوم قضايا اللغة وتحديدها في مقدمة ابن خلدون

المبحث الأول:مفهوم قضايا اللغة

المبحث الثاني:القضايا التي أثارها ابن خلدون

المبحث الثالث: علاقة قضايا اللغة بعلم العمران في نظر ابن خلدون

المبحث الأول

مفهوم قضايا اللغة

إن "ابن جني" هو أول من عرَّف اللُغة فيما نظن تعريفاً اقترب اقتراباً شديداً من تعريفات المحدثين ، لأنه جاء شاملاً لمعظم جوانب هذه التعريفات، حيث يقول "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ".[1]

ويشمل هذا التعريف عدة جوانب يستحق عرض كل جانب منها شيئاً من التفصيل لأنها تتضمن حقائق تتصل بماهية اللغة ووظيفتها وتتمثل فيما يلي:

1- اللغة أصوات.

2- اللغة تعبير .

3- اللغة أداة يعبر بها أقوام.

4- اللغة تعبير عن أغراض.

اللغة أصوات ،مفهوم تدأوله علماء اللغة منذ القدم ،خاصة علماء الإنجليز ونظر له حديثا،حيث يجمع اللُغويون المحدثون في دراستهم علي ان اللغة "أصوات" لأنها اصلاً مشافهة والانسان لم يعرف الكتابة إلا قريباً في التاريخ ،مع أن دي سوسير يرفض الامتثال للكتابة حتى لو كانت منذ الأزل ولذا فإن "ابن جني " قد أخرج الكتابة من تعريفه وقصرها علي الأصوات وفي هذا إشارة واضحة إلى نضج الدرس الصوتي عند العرب خاصة بمجئ الإسلام ،ومساهمة القراءات القرآنية بما فيها من ملامح نطقية بارزة في التنظير للصوت والاهتمام بعملية النطق، كما ساهم أيضاً في نشؤ علمي اللغة"دراسة المفردات" والنحو خاصة فيم يتعلق بمسالة الحركات الإعرابية وظهور الدرس الصوتي عندالخليل، ومن بعده سيبويه في فهمه للتغيرات الصرفية كالإدغام والإبدال.

[1] أبي الفتح عثمان بن جني- الخصائص/ ج1،ط1- 2001م، صـ33.

هذا التحديد يفسر لنا قضية السماع التي اعتمدها العرب في نقلهم لغتهم والتي تحدث عنها "ابن خلدون" في أماكن مختلفة من المقدمة نحو قوله "والسمع أبو الملكات اللسانية".[1]

أي اننا نتعلم اللغة عن طريق السماع، وليس عن طريق الكتابة، لأن اللغة أصلاً نطق ومشافهة وما احتكام "ابن خلدون" إلي أن السمع ابو الملكات اللسانية".[2]

إن تعريف "ابن جني" للغة يشير فيه إلى وظيفة اللغة ،حيث اللسانية حددها بأنها تعبيرية طبقاً لقوله "إنها تعبير عن أغراضهم ....." أي أن اللغة تحقق مقاصد "القوم"وأغراضهم "الجماعة " إلا أننا نجد من العلماء الذين رفضوا حصر وظيفة اللغُة في التواصل والتعبير ممثلين لأرأيهم بأدلة نحو قولهم :

1- إن الكلام الانفرادي "المنولوج" والقراءة الإنفرادية وتدوين الملاحظات التي لايريد الكاتب بهما الا نفسه.

2- استعمال اللُغة في السلوك الجماعي ، كالدعاء ، والصلاة وغيرها.

3- استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية مثل التحيات ولغة التأدب والكلام من حالات ظاهرة الجو.[3]

هى حالات لا يتم فيها التواصل لغياب شروط العملية التواصلية مع ان "سابير" يرى ان حديث النفس أو "المنولوج" صورة التوصيل ،لان المتكلم والسامع محققان حسيه في شخص واحد.[4]

تعرض ابن خلدون في تعريفه للغة في بلورته من خلال تعامله مع الأسئلة الأتية:

التعبير مع من ؟ ولمن ؟ وقد جاءت إجابة "ابن خلدون" عن هذه التساؤلات قاطعة ودقيقة من خلال استغلاله لمصطلح "القوم" وفي هذا إدراك واضح لأبعاد المصطلح ودلالته من قبل هذا الأخير والمعبر عنها بالمجتمع "أي أن اللغة حسب "ابن جني " ظاهرة اجتماعية لهذا نجده لم يقل "يعبر بها كل إنسان" أو كل فرد [5] وإنما ذكر لفظة "قوم" لينظر من خلالها للغة على أساس

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، صـ 336.
[2] المرجع السابق نفسه، صـ336.
[3] أحمد محمد قدورة- مبادئ اللسانيات ط1- صـ38
[4] أبن جني- الخصائص-ط1 2001م، صـــ33
[5] أبي الفتح عثمان بن جني- الخصائص/ مرجع سابق صـ34

أنها مؤسسة اجتماعية خاضعة لتطورات المجتمع وتغيراته حاملة لماضيه بكل هفواته وكائنة فيه ولاتوجد بدونه . فهل تفطن ابن خلدون إلي ما أشار إليه ابن جني في هذا الصدد؟ وهل أدرك العلاقة التي تربط اللغة لظاهرة يومية اجتماعية بالمجتمع بحكم كونه عالم عمران واجتماع .ويميل العلماء إلى أن اللُغة ظاهرة اجتماعية ، تنشأ في أحضان المجتمع وتنمو بنموه ، وتتطور بتطوره ؛ لذلك فإن نشأتها تعود إلى المجتمع نفسه ، إذ لولا اجتماع الناس بعضهم مع بعض ،وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عما في خواطرهم من معان ،لما وجدت اللغة أصلاً ،ومع هذا، العلماء يختلفون في كيفية نشأة اللغة ،وقد نجم عن هذا فإن الخلاف عدة نظريات قديمة وحديثة ،تندرج تحت اتجاهين:

الأول : إن اللغة توقيفية بمعنى : أن أصل اللغة إلهام ، ووحي علمها الله لأدم أبى البشر ، وقد استند بعض العلماء في أخذهم بهذا الاتجاه إلى قوله تعالى (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)

الثاني: أن اللغة مواضعة ،واتفاق ؛أي من صنع الانسان ، وهذا يعني انها مكتسبة ، وليست إلهاماً.

وعلي وفق الاتجاه الثاني،جاء تعريف العالم المسلم ابن جني "ت:392" في كتابه الشهير "الخصائص" . يقول ابن جني : "أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [1] وهذا المفهوم للغة ، يقرب الى حد كبير من مفهوم العلماء المحدثين لها ، الذين يرونها "مجموعة من الأصوات "، والألفاظ والتراكيب التي تعبر بها الأمة عن أغراضها وتستعملها أداة للفهم والإفهام والتفكير ونشر الثقافة ،فهي وسيلة الترابط الاجتماعي ،لابد منها للفرد والمجتمع" [2] ومهما اختلفت عبارات العلماء في تعريف اللغة ، فهم يجمعون على أنها أصوات ، عن طريقها يتم التواصل بين أفراد المجتمع .

لقد أشبع علماء اللُغة العرب القدامى اللغة العربية بحثاً ، ودرساً كونها اللغة التي شرفها الله يحمل النص القرأني الكريم ، الذى كان السبب الرئيس في ترسيخ أركانها وتثبيت قواعدها وسمو منزلتها .

[1] د. سميح أبو مغلي.، د.مصطفى الكلسواني وآخرون- دروس في علوم العربية، ط1، 1420هـ- 2000م، صـ11-12.
[2] أبي الفتح عثمان بن جني- الخصائص، صـ33

وكان من أثر هذه الدراسات أن رصد علماء العربية ثلاثة عشر علماً لها هي :

الصرف والإعراب "ويطلق عليها مصطلح النحو"،والرسم "الإملاء" ، والبيان ،والبديع ،والمعاني والعروض والقوافي ،وقرض الشعر والإنشاء والخطابة وتاريخ الأدب ومتن اللُغة .

واللغة العربية كغيرها من اللغات الأخرى،تتألف من أنظمة جزئية تترابط جميعاً لتكون نظاماً كلياً يطلق عليه النظام اللُغوي،ومن الجدير بالعلم أن لكل نظام من هذه الأنظمة الجزئية حدوداً وقوانيين يعُرف بها ، ومفردات تتدرج تحته، مؤدية وظيفة خاصة بها على ان هذه القوانين والوظائف المختلفة في كل نظام تتداعم ،وتتساوق ليكمل كل واحد منها الأخر وفي الوقت نفسه ،فإن غياب أي نظام منها ،يعني هدم ركن لا يعوضه آخر . [1]

لعل النظام اللغوي في تراص مستوياته ، وعناصره أشبه ما يكون بالجسم البشري المبني من عدة أجهزة ، كالجهاز العصبي والجهاز التنفسي والجهاز الهضمي .....الخ " وهذه الأجهزة تؤدي وظائف معينة ولها أعضاؤها الخاصة "بها،ولكن هذا الاختلاف الوظيفي او العضوي لكل من هذه الأجهزة يتمم الآخر،~ ويرفده~ ليسلم الجسم ،فيقوم بوظيفته الأولي وهي الحياة ،حتى إذا ما ضعف واحد منها ،تسلل الضعف إلى الآخر ، وكذلك هي اللغة .

وتقوم اللغات بعامه على ستة أنظمه أو مستويات هي:

الأول :المستوى الصوتي:

يعد المستوى الصوتي من أعمق المستويات التي تنأولها العرب في دراستهم للغة ولعٌل مرد ذلك عائد إلى أن هذا العلم قد شق طريقه في الدرس اللغوي عند العرب في مرحلة متقدمة ، ابتداء من أبي الأسود الدولي (ت:69 هـ) مروراً بالخليل بن أحمد الفراهيدى وتلميذه سيبويه ،إلى أن أستاذ هذا العلم غير مرافع ،العالم الجليل ابن جني الذى أفرد له كتاباً خاصاً وسماه (سر صناعة الإعراب).

ويبحث هذا المستوى اللغُوي في الصوت الانساني ،ويعنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها من حيث:

[1] سميح أبو مغلي.،ومصطفى الكلسواني وآخرون- مرجعسابق ص12.

طريقة النطق ، وتقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة وبين الشديدة والرخوة .

الجهر والهمس ، والترقيق والتفخيم .

إلتئام الأصوات مع بعضها ، والمقاطع الصوتية .

الثاني : المستوى الصرفي :

لم يميز علماء العربية القدامى بين علمي الإعراب (النحو) والصرف ، ولم يفصلوا بينهما في مؤلفاتهم فقد كانوا يدرجون مباحث التصريف في أثناء تصانيفهم ، ذلك أن موضوعات علوم العربية لم تكن يومذاك متمايزة ،محددة .

ويكاد علماء التراجم في مصنفاتهم والباحثون يجمعون على أن واضع علم الصرف هو: "ابومسلم، معاذ الهراء: 187 هـ " أحد علماء اللغة في الكوفة ،مع أن الثابت أن مسائل الصرف كانت تدرس من قبل معاذ الهراء .

ولقد عرَّف العلماء الصرف فقالوا:"علم بأصول يعرف بها أحوال ابنية الكلمة التي ليست إعراب،وبناء" .[1]

ويختص علم الصرف في شيئين :أولهما :الأسماء المتمكنة"المعربة" نحو :الرجل والشجرة والفتاة.....الخ" ثانيهما: الأفعال المتصرفة ، نحو :ضرب ،يضرب،اضرب وينأي الصرف عما دون ذلك مثل :

1- الأسماء الأعجمية نحو: ابراهيم ،اسماعيل ، يوسف ، نيويورك ،

2- أسماء الأصوات غاق "للغراب" ، عدس "للبغل" ، شأ "للحمار"

3- أسماء الأفعال نحو " أفٍ ، صه ، مه ، شتان ، آمين .

4- الأفعال الجامدة نحو : ليس ،عسى وخلا ، نعم ،بئس ، حبذا ....

5- الحروف بجميع أنواعها نحو : من ، إلى ، عن ، على ، ثم ، وأو ، ولا،إنٍ..

[1]د. سميح أبو مغلي.، د.مصطفى الكلسواني وآخرون- مرجع سابق ص13.

6- الأسماء المشبه بالحروف نحو : الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء المبنية والأسماء الموصولة وأسماء الاستفهام .

الثالث : المستوى النحوي :-

يعرِّف النحويون النحو بأنه : "علم بأصول تعرف بها أصول الكلمات في حالة تراكيبها وبناءً علي هذا المفهوم ، والمستوى النحوى يشمل : الإعراب ، والعوامل النحوية ، وقواعد تراكيب الجملة ، وعلاقتها بما قبلها ، وبما بعدها . [2]

وكل هذا قد احاط به "ابن جني" حين عرف النحو بقوله : " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منه او شذ بعضهم عنها رد بها إليها "

الرابع المستوى الدلالى :

ويدرس من هذا المستوى معاني الألفاظ أو الجمل والعبارات ، كما يعني بالتطور الدلالى للكلمة (اسبابه ، وقوانينه وأنواعه وخواصه وعواملة) كما تركز هذه الدراسة على الدلالة المعجمية ، وبالتالي فإن استخدام المعجمات ومعرفة انواعها وطرق استعمالها مما يندرج تحت هذا المستوى . .[2]

الخامس : المستوى البياني (البلاغي) :

ويتضمن دراسة :

أ-علم البيان : الذى يعني به ذلك العلم الذى يعُرف به المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة ومن موضوعاته :

التشبيه بأنواعه والاستعارة بأنواعها والمجاز المرسل والعقلي والكناية .

---

[2] د. سميح أبو مغلي.، د.مصطفى الكلسواني وآخرون- مرجع سابق ص14.

[2] ابن جني، الخصائص،جـ 1، ص 12.

ب- علم البديع :

ويعني به ذلك العلم المختص بتزيين الألفاظ والمعاني ويطلق عليها :

المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية مثل : الجناس والطباق والسجع والمقابلة .

ج- علم المعاني : وهو العلم الذى يتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وذكر وحذف أو تعريف أوتنكير أو قصر أوفصل ووصل أوإيجاز ومساواة وإطناب ومن مباحثه التي تتصل بالجملة تقسيمها من حيث غرضها إلى خبرية أو إنشائية وأضرب الخبر .

السادس: المستوى الكتابي :

ويدرس هذا النظام الكتابة وقواعد الإملاء والترقيم وعلاماته والخط العربى وقواعده وأنواعه .

ومن أنوع الخط : الكوفي بأنواعه والثلث والتعليق "الفارسي" والديواني والرقعة والنسخ الإجازة والديواني الجلي والطغرأيي والتاجي والخط الحديث (الرقعة المصري والنسخ المصري) والخط الحر.[1]

هنالك اراء مختلفة ومتعددة حول أصل اللغة , ولماذا كانت هنالك لغة ؟

من هذه الأراء من يعتبر أن أصل اللغة هو الحاجة الطبيعية للتكيف مع شروط الحياة , ومن أجل تأمين سلامة الانسان , مثل خرير الماء , وأصوات الشجر وأصوات الحيوانات, واللغة لدى الانسان ,تنشأ أصلاً من محاكاة صرخات الطفل الأولى تدريجياً إلى الأصوات الطبيعية , وذلك للتمييز بين الانفعالات, وتدريجياً تصبح هذه الأصوات عبارة عن إشارات أو رموز كلامية متعارف عليها وتدل على أشياء ملموسة في الطبيعة , ثم بعد ذلك جاءت التسجيلات الكتابية , فالهندي الأمريكي لم يصل أبداً إلى اللغة المكتوبة , وبدأت الكتابة لديه بصورة ورسوم تمثل الأشياء والحيوانات , وبعد ذلك بمدة طويلة صممت الكتابة الأبجدية , أما قراءة الكلمات والجمل وكتابتها فهي عبارة عن تطورات لغوية حديثة نسبيا , ويرى دارون , وسينسر من(علماء التطور) أن الصراخ يتطور ويتقدم لما له من فوائد في الحياة , وحتى يصبح كلاما لدى الانسان , أما الفيلسوف الفرنسي (برغسون) فهو يرى بأن طبيعة الانسان يحددها عنصران أساسيان هما :

[1]د. سميح أبو مغلي.، د.مصطفى الكلسواني وآخرون- **مرجعسابق ص**16.

القوة الحيوية الداخلية التي تدفعه إلى أن يكتشف ما يحيط به، والمحيط أو المجال الذى يتحرك فيه، وبين القوة الحيوية والمجال مرونة خاصة تساعد الانسان على التحرك، أما الحيوان فبعده الحيوى محدد، ومغلق لايستطيع تجاوزه فالغريزة هي التي تحدد سلوكه، وعملية التحرك والتوافق لدي الانسان تتطلب بالضرورة أداة للتعبير عن الأفكار وتحقيق الاتصال، ويعتبر برغسون اللغة الوسيلة التي يقتحم بها الانسان منذ طفولته هذا المجال، ولذلك فهي تنشأ بالضرورة معه، أما العلماء بييربيشون، وجيت ديلاي في كتابه عن علم النفس المرضي ، وهنرى لو في كتابه عن الطب النفسي ،فإنهم يرون بأن أصل اللغة يرتبط بالأصل الوظيفي لهذه اللغة وأن هناك عدة نظريات يمكن إفتراضها في هذا الصدد، من هذه النظريات :[1]

1- النظريات التي ترى بأن أصل اللغة يرجع إلى الحاجة التلقائية للتعبير ، وهذه الحاجة أدت إلى تطور الأصوات حتى تتميز حسب الحاجات إلى أن أصبحت هذه الأصوات تأخذ شكل اللغة الحالية.

2- النظريات التي ترى بأن الكلمات في الأصل كانت تستخدم لتعيين أصوات معينة أو الإشارة إليها، حيث أن هناك شيئاً من التطابق بين الصوت والكلمة، مثلاً نجد الطفل ولغته التلقائية فهو يستخدم كلمة (كوكو) لتعيين العصفور أو الطائر وكلمة (يم يم) لتعيين الأصوات القوية أو المزعجة ، ويلاحظ هناك نوع من التطابق بين لفظ (يم) الذى يشير إلى القوة ، وإلى الصوت المزعج القوي ...وتسمى هذه النظرية بنظرية الكلمة الصوتية .

3- وهناك نظرية تربط أصل الكلمات بوظيفة الطلب للغة (تأثير الكلمة فيمن يسمعها) فالحاجة الطبيعية للاتصال والتأثير في الغير أدى إلى ظهور مفهوم الكلام واللغة ، لذلك فإن أصل اللغة وجود الآخرين والمجتمع ، حيث يتم نقل المثيرات والأصوات والألفاظ والكلمات .

وهناك نظرية تقول أن الأصل البنائي للغة، وهذه النظرية ترى اللغة والكلمات هي التي تمثل مرحلة وسطاً بين الأعضاء المكونة لكل اللغات ووظيفتها العضوية بين الأصوات والمفردات والجمل التي تعتمد علي تنظيم الكلمات حسب القواعد النحوية، أما العالم السويسرى التربوى (جان بياجيه) فهو يشير في كتابه عن ا"للغة والتفكير لدى الطفل " بأن أصل اللغة يرجع

[1]فيصل محمد خير الزراد: اللغة وإضطرابات النطق والكلام، ط1، ص31-32.

إلى وجود علاقة طبيعية بين اللغة والفكر ولأن فكر الطفل لايمكن أن ينمو ويكون إلا بما يمكن أن يعبر عنه بالكلمات .[1]

ويرى علماء اللغة أن اللغة عبارة عن مجموعة من الرموز المنطوقة تستخدم كوسائل للتعبير، أو للاتصال مع الغير، وهى قد تشمل لغة الكتابة أو لغة الحركات المعبرة (الإيماءات والتكشيرات)وقد اعتاد علماء اللغة والنحاة في معرض حديثهم عن مواضيع اللغة والكلام أن يميزوا بين مفهوم اللُغة ومفهوم الكلام ومفهوم اللسان،وبعض النحاة العرب يستخدمون عبارة اللغة العربية ويقصدون بذلك (اللسان العربي)، ويرى هؤلاء بأن اللغة عبارة عن ظاهرة اجتماعية وهي أداة التفاهم والاتصال بين أفراد الأمة الواحدة. واللُغة هي نمط من السلوك لدى الأفراد والجماعات أما الكلام فهوسلوك فردي يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة وباختصار يمكن القول بأن اللغة تشير إلى الجانب الاجتماعي بينما الكلام يشير إلى الجانب الفردي ،ويعرَف بعض النحاة العرب الكلام "بأنه كل ما يصدر عن الفرد من أقوال سواء أفادت أم لم تفد".[2]

والباحث عندما يرى دراسة لغة قوم أو أمة فإنه ينظر الى اللغة كظاهرة اجتماعية ويحأول التوصل من خلال الأفراد إلى السمات المشتركة بينهم في الكلام – عوضاً عن السمات الفارقة – وذلك للانتهاء إلى تفسير وجود اللغة كأداة للإتصال والتفاهم ، (وكلغة قومية) ويرى الفقيه اللغوي ابن منظور (1232 – 1311) صاحب قاموس لسان العرب بأن اللغة تتبدل وتتغير وتتطور حسب تبدل الأقوام والأحوال وهو يرى بأن اللغة من "اللغو" واللغو ما كان من الكلام غير المعقود عليه . واللغو أيضاً هو (مالا يعتد به) لتقلبه من حال إلى حال ، ومن ناحية أخرى إذا أراد الباحثُ دراسة الكلام فإنه يبحث في الترادف ، والتناقض ، والجمل وعادات النطق واضطرابات الكلام وهو في ذلك يبحث عن الفروق الفردية للسلوك اللغوي .[3]

وليس بعيداً عن ذلك ماذهب إليه المحدثون فى حديثهم عن مفهوم اللغة وعلاقتها فى ربط أفراد المجتمع بكلمة ، فنجد (على عبد الواحد وافي) قد عبر عن المجتمع بكلمة "بناء الجنس " عندما ينقل لنا ما وصل إليه علم اللغة الحديث في أوربا من هذه الناحية الاجتماعية للغة إذ يقول : اللغة هي أصوات مركبة ذات مقاطع تتألف منها كلمات وجمل ذات دلالات وضيعة يعبر بها الانسان تعبيراً مقصوداً عما يحول في ظاهره ويتفاهم بها مع ابناء جنسه فاللغة إذاً

[1] فيصل محمد خير الزراد مرجع سابق صـ32-34.
[2] مرجعسابق صـ20
[3] فيصل محمد خير الزراد مرجعسابق صـ21

بالإجماع ظاهره اجتماعية عند القدماء والمحدثين وتكون أداة ربط بين أفراده ووسيلة تواصل لا يمكن الاستغناء عنها.

أما مفهوم اللغة عند ابن خلدون (عالم الاجتماع) فلم يخرج من نطاق سابقيه ولاحقيه على حد سواء فى النظر إلى اللغة على أنها وسيلة اجتماعية تسعي إلى ربط ابناء المجتمع الواحد وقد ورد تعريفه للغة فى بداية فصل فى مقدمته بعنوان (علم النحو) فنجده قد عرف اللغة قبل البدء بالكلام على علم النحو ،ويبدو أنه لم يقصد التوسع في الحديث عن اللغة ومعناها بقدر ماكان يقصد من تقديم لعلم النحو الذى يعنى بضبط قواعد اللغة وقوانينها بشكل عام .

أما عن تعريف ابن خلدون للغة (أعلم أن اللغة في المتعارف عليه ، هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلابد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها ، وهو اللسان ، وهى في كل أمة بحسب اصطلاحاتها).[1] وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور أعنى المضاف ومثل الحروف التي تفضى بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك إلا فى لغة العرب .[2]

وأما غيرها من اللغات فكل معنى أوحالٍ لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم "أوتيت جوامع الكلم ".[3]

المبحث الثاني

القضايا التي أثارها ابن خلدون

إن أعظم هبة للانسان من الله تعالى هي اللغة، فهي أبرز مايميزه عن غيره من الحيوانات ومن حسن الصنيع أن نعرف الانسان بأنه الحيوان القادر على الخلق البشري أو القادر على الإبانة والافصاح.

[1] عبدالرحمن بن حمحد خلدون- المقدمة ، صـ 603، دار الشر،ط1
[2] المرجع السابق صـ 605
[3] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجعسابق صـ 605

لقد كانت اللغة ولا تزال وستظل إحدى القوى التي ساعدت الكائنات البشرية على الخروج من العالم الحيواني والانضواء فى جماعات وتطور القدرة على التفكير وتنظيم الحياة الاجتماعية وتحقيق درجة التقدم التي عليها الانسان اليوم ، لأن الكلام يفتح العالم المغلق في حياتنا الداخلية ويسمح لنا بالخروج عنه ، أنه مبدع وصانع الحياة الاجتماعية .

ولهذا يتحتم على من يريد دراسة الانسان أن يعكف على درس لغته ، إذ لا يمكن التعرف علي هذا الكائن خارج الحقل اللُغوي ، إن كل مايحدث في هذا العالم ، شئنا أم أبينا مرتبط باللغة . فقد نشأت مع نشوء العمل وتطورت معه ، من دونها لن نحسن عملنا ، ولن يتقدم عملنا و فننا ولن تتقدم حياتنا ولن تكون لنا حضارة ، فاللغة إحدى أهم وسائل نشاطنا العلمي والفكري والاجتماعي .

ومن هنا لايمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها فى الزمان والمكان المعينين لأن فيها من الانسان فكره وطرأيقه الذهنية ، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه .

وقد مضى على الانسان حين طويل من الدهر تعامل فيه مع اللغة تعامله مع الهواء والماء فلم يكلف نفسه عناء البحث عن مكوناتها ولم يشغل باله فى معرفة كنه وسيلته الإبلاغية المثلى ثم جاء زمن بدأ فيه الانسان يصرف جهداً من أجل الوقوف على سير سلوكه التواصلي،اعني (الكلام) أو إثراء نظام هذا السلوك أعني (اللغة) .

ولكن لايزال الانسان يجد أن معرفته باللغة على النحو الذي يطمح إليه بحاجة إلى مزيد من الدرس والبحث ، ويؤكد (براترند راسل) ضآلة معرفتنا بالكلام واللغة ويدعو إلى طريقة سلوكية دقيقة في البحث اللغُوي قائلاً : (إنني أظن أن المعنى لايمكن أن يفهم إذا عالجنا اللغة على أساس أنها عادة جسمية والميدان الصحيح لعلم اللغة هو دراسة ما يقوله الناس ،وما يسمعونه وسط المحيط والتجارب التي يعملون فيها الأشياء .[1]

ويؤكد (فيرث) هذه النظرية الاجتماعية للغة بقوله : "لنبدأ بأن نعتبر الانسان ليس مفصولاً عن العالم الذي يعيش فيه ، إنه ليس جزءاً منه إنه ليس موجوداً ليفكر فيه ، ولكن ليعمل

[1] محمد أحمد أبو الفرج- مقدمة لدراسة فقه اللغة، ط1، بيروت 1966م، صـ28.

ما يناسب وذلك يقتضيه أن يمتنع عن العمل في الوقت المناسب أيضاً وهذا ينطبق على أهم نشاط اجتماعي للإنسان ، ونعني به دفع الهواء وآذان الآخرين إلى الإضطراب بوساطة ماينطقه .فكلامك ليس مجرد تحريك للسان او إهتزاز فى الحنجرة أو إصغاء ، إنه أكثر من ذلك نتيجة لعمل العقل في تأدية وظيفته كمدير للعلاقات لتحفظ عليك سيرك فى المحيط الذي تعيش فية.[1]

أن هذا الارتباط بين اللغة والانسان يخولنا أن نؤكد "أن الانسان لغة ويلزم عن هذه المقولة أن اللغة من كيان الانسان ، فلا إنسانية بدون لغة".[2]

والانسان بدون لغة لايتمتع بالانسانية الكاملة ولو كان عقله وأفكاره فى مستوى أعلى بكثير من المستوي الحيواني وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها العلماء "أن العقل لايبلغ نموه إلا بعد أن يتمكن الانسان من النطق كل التمكن".[3]

فاللغة قطعة من الحياة نشأت، وسارت معها وتغذت بغذائها،ونهضت بنهوضها وركدت بركودها وكان تاريخ اللغة وسيظل مجالاً رحباً نتصفح من خلاله تاريخ الحضارات الانسانية ففى كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه تؤدى اللغة دوراً ذا أهمية أساسية بوصفها من أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع، وهى في الوقت نفسه رمز لحياتهم المشتركة وضمان لها "فما الأداة التي يمكن ان تكون أكثر كفاية من اللغة فى تاكيد خصائص الجماعة إذ هى فى مرونتها ويسرها وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح لاستعمالات متشعبة، وتقف موقف الرابطة التي تربط أعضاء الجماعة، فتكون العلامة التي بها يعرفون ، والنسب الذى إليه ينتسبون ".[4]

لم يُجمع الباحثون والمفكرون على تصور حقيقة العلاقة بين اللغة والمجتمع الناطق بها إذ نجد أن هذه العلاقة تكتسب أهمية كبرى وأصلية لدى الباحثين الأمريكيين فى اللسانيات البنائية ونجد فى لقاء معهم الوظيفيين والكوسماتيين وبعض البنائيين من أمثال (أنطوان مابييه) يدافعون عن استقلال مادتهم ليس فقط عن الفلسفة أو علم النفس ولكن عن علم الاجتماع كذلك، ويحأولون عقد صلة وثيقة بين البنى الاجتماعية والبنى اللغوية ،نجد من جانب أخر فريق من البنائيين يرى في هذا الموقف عبثاً ومن رأيه عدم وجود علاقة ضرورية بين قوانين اللغة والسياق

---

[1] المرجع السابق صـ29

[2] محمد عزيز الحبابي - تأملات في النحو واللغة – ليبيا- تونس ط1 1980، صـ 11

[3] صلاح أبوالوليد- اللغة والفكر – باريس ،ط1، صـ87.

[4] عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص – اللغة، القاهرة ط1، 1950م، صـ7.

(الاجتماعي الثقافي) الذى يستعمل فيه هذا القانون وقد كتب (سوميرفلت) يقول "إن اللغة ظاهرة اجتماعية والتغيرات التي تعرفها هى أيضاً ذات طابع اجتماعي ، ولكن هذا لايعنى أن هناك تقابلاً بين البنة اللغوية والمجتمع الذى يستخدم هذه البنات وسيلة للتواصل، إن البنات الصرفية للغة معينة يمكن أن تبقى هى دون تغير رغم التغيرات الثورية التي تحدث في البنات الاجتماعية التي تتكلم هذه اللغة.[1]وعلى الرغم من هامشية هذا الرأي إذ لم يوضح فيه (سوميرفلت) المقصود بالتغير اللغوي وما الجوانب اللغوية التي تتغير ، وإذا كان يعتقد بأن التغير يكون عنيفاًوسريعاً كالتغيرات السياسية مثلاً ، فهذا غير مقبول ولايمكن أن يقصده أي لغوي مهتم بعوامل التغيير اللغوي الذي يحدث ببطء غير ملحوظ آنياً على الرغم من حصوله في كل فترة من حياة اللغة، دون أن يظهر للعيان إلا عبر قرون من الزمن وقد يشمل أصوات اللغة دون نحوها أوصرفها أومعجمها أو العكس ، أقول على الرغم من ذلك فإن (نفنست) يؤكد نفى العلاقة بين البنى اللغوية والبنى الاجتماعية ومن رأيه يمكن أن توجد لغات مختلفة تحمل حضارة واحدة . وفى رأى (بنفنست) هذا إصرار من جانب فريق من البنائيين على الفصل بين البنى اللغوية والاجتماعية وهو ما يرفضه أخرون والثابت لدينا أن علاقة جدلية قائمة بين اللغة والمجتمع ، ذلك أمر يجب على عالم اللغة ، وعالم الاجتماع الاعتراف به ، إذ إن المجالين غير متناقضين "أنهما متمايزان ومتكاملان فى الوقت نفسه ".[2]يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أوتيت جوامع الكلم ".

ومعني ذلك إختصر لى الكلام إختصاراً فصار للحروف فى لغتهم والحركات والهبأت (أي الأوضاع اعتباراً في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعةٍ يستفيدون ذلك منها إنما هي ملكة فى ألسنتهم يأخذها الأخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان فى أيدي الأمم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى السمع وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فيستغلق القرآن الكريم والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن

[1]هادي نهر – اللسانيات الإجتماعية عند العرب، ط1، 2011م، صـ19

[2]هادي نهر – مرجعسابق، صـ21.

الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم راوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحو على تسمية إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتابة وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحو على تسميتها بعلم النحو).[1]

أما مصطلح اللغة فهو اصطلاح لا يخلو من غموض لما يوحي به من عموم ، ولتنوع استعماله وسياقاته فقد يعني : كلام العرب و ما تنطق به من الفاظ ونتفاهم به من عبارات وهذا هو المعني العام للغة عند الأجناس البشرية كلها ومن ضمنهم العرب وهو المفهوم التقليدي وهناك مفهوم ثانٍ يمكننا أن نؤسسه على المعنى والسابق وهو المفهوم الذي يتيح لنا أن نطلق مصطلح "لغوي" الذى يقابل مصطلح "نحوي" مثلاً على من يقوم بجمع مفردات اللغة ورواية ما يحفظ كالأصمعي.[2]وان أبسط تعريف للغة هو أنها نظام من الأصوات يتواصل به أفراد مجتمع للتعبير عن حاجاتهم المادية والمعنوية . وهو تعريف لايضيف إلى الأذهان شيئاً جديداً. وقد نتقدم قليلاً فنعرف اللغة صوريا أوشكلياً بأنها "وسيلة للتواصل أو أداة للتعبير عن الأفكار" أو أنها "نظام من العلاقات لنقل الأفكار " فهذه التعريفات جميعها كما سنرى ، مهما كانت الإعتبارات المنهجية والتضمينات النظرية في صياغتها ، تبدو لنا غير قادرة على الإحاطة بجوهر اللغة وبأبعادها الفردية والجماعية.

ويبدو أنه ليس بإمكان التعريفات التي تم تقديمها فى الأدبيات المتعلقة باللغة قديماً وحديثاً مامن شأنه أن يميز تعريف اللغة البشرية من سواها من أنظمة التواصل والتخاطب الأخرى بصرف النظر عن طبيعة المنظومة المستعملة والافكار المراد التعبير عنها .

لذا من الصعوبة جداً أن نجد تعريفا للغة يكون جامعا مانعا كما يقال وبالرغم من معرفتنا "اللغة"،سواء في استعمالنا لها عبر الكلام ونحن نمارسها ، أو في التعرف إليها ونحن نستمع أو نتلقى الخطابات اللغوية في كل وقت وحين ، فإن سمة أكثر من صعوبة تعترض تقديم تعرف للغة قادر على تحقيق الإجماع عليه وتكمن أولى الصعوبات المتعلقة بتحديد اللغة أن ثمة عددا لا يحصى ولايعد من التعريفات التي أعطيت للغة ، وهي تعريفات يقترب بعضها من بعض أو

[1] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجع سابق صـ 603-604.
[2] عبد المجيد مجاهد- علم اللسان العربي ،ط1، 2010م، صـ9.

يبتعد جزئيا أوكليا "فالفلاسفة – مثلا – يرون اللغة من زاوية اتصالها بالفكر ، ومن ثم فهي عندهم وسيلة نقله ، وطريق التعبير عنه . والمناطقة يدرسون قوانين الفكر وانعكاسها على اللغة وعلماء الاجتماع يهتمون بالطبيعة الاجتماعية للغة ودورها في قيام مجتمع ما ، وفي تحديد أنماط علاقات أعضائه . وعلماء النفس تشغلهم زاوية تأثير اللغة على مجمل مظاهر التنظيم السلوكي والعمليات النفسية المختلفة كالإدراك والتفكير والذاكرة الخ" ومنظرو الحضارة ينظرون إلي اللغة من جهة تأثيرها في عمليات الصراع الحضاري والتغيير الثقافي وعلاقاتها بطبيعة المكان ودوافع الهجرات وقضايا التأثير الحضاري...الخ ".[1]

والمؤكد أن المجال الذى وضع فيه هذا التعريف أوذاك ، والوجهات المعتمدة التي ينظر من خلالها إلى اللغة والأهداف المنتظرة دراستها كلها عوامل تساهم إلى حد كبير فى تغيير هذا التبيان والتعدد الملاحظ بشان تعريف شئ عادي بالنسبة الى الانسان اسمه " اللغُة ".[2]

إن اللغة هى كينونة الانسان وماهيته : إن أصل اللغة عند الفرد نابع من طبيعته الاجتماعية التي تلازمه ومن حاجته إلى التواصل مع الغير . إن اللغة عند الفرد تجسد الرغبة في تحقيق نوع من التماهي مع الذات والذوبان بين الذات والآخر من جهة وبين الذات والعالم الخارجي والموضوعي من جهة أخرى.

الاطمئنان النفسي والاجتماعي ، والأمان فى علاقته الخاصة والعامة مع الآخر، والتعبير عن الإرادة الطبيعية في حق الوجود . إن اللغة باختصار "شرط إمكان وجود الانسان والإنسانية ".

ومن الملاحظ داخل العشائر البدائية والمجتمعات المتحضرة على السواء ، أن أفرادها يتكلمون بشكل منتظم ومنسق . وهو ما قد يبدو للأجنبي أنها مجرد إصدار "أصوات غير مفهومة" . يجعل المجموعات البشرية مهما كان عددها ومستواها الحضاري والفكري والاجتماعي قادرة على أن تتواصل فيما بينها ، لتعبر عن أغراضها المتباينة والمتعددة أحياناً ، وتحقق نوعاً من الانسجام المجتمعي بينها ، وتخلق أشكالاً قادرة من التراتبية الاجتماعية رغم كل الصراعات

[1] مصطفى غلفان- في اللسانيات العامة، ط1، 2010م، صـ11.
[2] المرجع السابق نفسه، ص 12.

اليومية الضمنية والصريحة منها. إن عملية الكلام تبدو للمتكلم أمراً عادياً جداً وسهلاً ، لايتطلب بذل أى مجهود يذكر ، لذلك فهو غالب الأحيان لا يُعيرها أدنى اهتمام .

لقد ألف كلاً من اللغة منذ صغره ، وقد لايتصور نفسه بدونها أومستقلاً عنها . إن أفراد المجتمع يتكلمون فيما بينهم يسمعون ما يقوله لهم غيرهم ، يتبادلون الأفكار والآراء ، يعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم بوساطة مجموعة من الأصوات التي هي عبارة عن سلسلة فيزيائية وسمعية ينتجها الجهاز الصوتي الانساني .

إن عملية التواصل والتخاطب تعني فى نهاية التحليل أن كل إنسان متكلم وسامع فى أن نفسه ، يصدر ويؤول ما لاحصر له من الجمل ، حسب مايقتضيه المقام التواصلي والتفاعلي بينه وبين السامع ، وتلبية الحاجات والأغراض.[1]وإذا كان الاختلاف حول طبيعة اللُغة وجوهرها حاصلاً بين المفكرين منذ قدم التاريخ البشرى ، فإن أهمية اللغة ودورها فى حياة الفرد والجماعة ، وقيمتها فى دعم الشخصية وفضلها على الوحدة القومية بالنسبة إلى كثير من الأمم ليست محل نقاش أو جدل . وإذا كان ثمة اختلاف ما ، فهو قائم حول توظيف التصورات والتأويلات التي قد يقود إليها هذا الموقف من اللغة أو ذاك . فالاهتمام بالسلوك اللغوي عند البشر ليس وليد اليوم ، بل شغل الانسان منذ أقدم العصور بهذه الأداة الرائعة والغريبة فى الوقت ذاته . ويكفى إلقاء نظرة بسيطة على ما خلفته مختلف الحضارات والثقافات من أدبيات ومواقف إزاء اللغة ، لندرك عمق الإحساس بأهمية اللغة ودورها في حياة الانسان والانسانية .

لهذا السبب ، فإن ظهور اللسانيات بوصفها الدراسة العلمية للغة البشرية فى ذاتها ومن أجل ذاتها ، ليس بدعة فكرية أو ترفاً علميا بين مختلف العلوم التي ما قد فتئت تحأول إقحام مجهول اللغة ، لأن الفهم العميق للغة البشرية هو فهم طبيعة العقل والمعرفة عند الانسان . فاللسانيات ليست سوى واجهة ضمن عدد من المعارف والعلوم التي تتفاعل كلها لفهم أعمق وتحليل أدق وتفسير أعم للظواهر اللغوية .إنه مطلب كثير من العلوم التي تلتقى مع اللسانيات

[1] مصطفى غلفان- مرجع سابق، ص13.

فـى موضـوع دراسـة اللغـة مثـل علـم الاجتمـاع وعلـم الـنفس والانثروبولوجيـا والمنطـق والفلسـفه والرياضيات والاعلاميات والبرمجة وعلوم التربية وغيرها.[1]

إن تأكيد كثير من الدراسين على الجانب الاجتماعي للغة أمر أكثر من بدهي. فاللغة مؤسسة اجتماعية بامتياز، بحيث لا يمكن تصورها خارج المجتمع كما لايمكن تصور أي مجتمع بـدونها . ولايخفـى علـى أي أحـد أن كـل لغـة تعكـس واقعـا اجتماعيـاً كمـا تعكـس بوضـوح نمـط العلاقـات الاجتماعيـة القائمـة بـين أفراد مجتمـع معين وهـى كذلك تمثل آثار مطابقـة للمستويات الطبقية التي يحياها المتكلمون بها . فهناك لغة الفلاح ولغة التاجر ولغة المثقف ... الخ .

وأعتبر اللساني الفرنسى "أنطون مييه " أبرز اللغويين التاريخيين المتأثرين بعلم الاجتماع أن اللغة البشرية هى أساساً معطي اجتماعي فى مفام تاريخي ثقافي مؤكداً الرابط العضوي الوثيق بين اللغة والثقافة ومختلف الأشكال الاجتماعية للشعب الذى يتكلم هذه اللغة. وقد أعترض مييه على تعريف "دو سوسير" للغة الذى يقول بأنها "نظام من العلاقات المعبرة عن افكار " قائلاً بأنه تعريف يصب كل اهتمامه على الجانب النسقى ولايعطى أى أهمية للإنسان الاجتماعى فى العملية اللغوية .

ويأسف مييه لكون سوسير لم يتحدث عن الكلام باعتبار أن اللسان حقيقة اجتماعية ولسانية ، وواقع اللسان أنه اجتماعي بامتياز . وقد دافع اللغويون الروس (فى الحقبة السوفياتية من 1917إلى 1990) أكثر من غيرهم فى القرن العشرين عن الطابع الاجتماعي للغة انطلاقاً من مبدأ فكرى عام يقول بوجود رابط عضوي بين الماهية الاجتماعية للغة ووظيفتها التواصلية والإخبارية التي تحدد فى النهاية بالرجوع إلى الهوية الاجتماعية للوعي الانساني. كما يمكن أن تحدد كل وظائف اللغة بوصفها إحدى تظاهرات النشاط الاجتماعي ، عند الانسان القائم على الروابط الاجتماعية بين الأفراد وفق الشروط المادية الملموسة لحقبة تاريخية اجتماعية معينة . إن اللغة تعكس الواقع الاجتماعي بمختلف معطياته باعتبار الأحداث اللُغوية مؤشرات دالة على الظواهر الاجتماعية نفسها . " إن الانسان ليس تجريداً ولكنه حصيلة اجتماعية " كما يقول كارل مـاركس . وفـى هـذا التصـور المـادي الماركسـى للغـة فـإن المنهجيـة التـي يجـب أن تتبـع فـى

[1] مصطفى غلفان- مرجع سابق، صـ13-14.

اللسانيات النظرية ينبغي أن تقوم على قاعدتين أساسيتين أولاهما الطابع الاجتماعي للغة وثانيهما عدم التمييز بين اللغة والفكر.[1]

أيهما أسبق : اللغة أم الفكر ؟.

اختلف علماء النفس فى الإجابة عن هذا السؤال . فيرى بعضهم –مثل جلبرت رايل –أن التفكير لابد من أن يسبقه تعلم الانسان الكلام بصوت عالٍ . ويستدل على صحة رأيه بأن الطفل يكتسب اللغة أولاً قبل أن يتعلم فى مرحلة لاحقة التفكير مع نفسه.

وفى حين يرى آخرون مثل عالم النفس جين "بياجيه" أن النمو الذهني للطفل يتقدم مستقلاً ، وبصفه عامة يتبعه النمو اللُغوي . ويوضح "بياجيه " أنه يستحيل على الأطفال فهم التعبير اللفظي قبل أن يتمكنوا من إتقان المفهوم الأساسى الذى يقوم عليه هذا التعبير بمعنى أنهم لا يفهمون عبارات أو كلمات مثل "الأسبوع القادم " "ومال" و"الموت".

أما عالم النفس "قيجو تسكي " فيرى أن التفكير واللغة يبدأن كفعاليتين منفصلتين ، وأن تفكير الأطفال صغار السن يشبه تفكير الحيوان لأنه يحدث بدون لغة ومن الأمثلة على ذلك الطفل الذى لم يتعلم الكلام بعد والذى يحل مشكلات بسيطة مثل تناول الأشياء وفتح الأبواب "إي تفكير بدون كلام ".

ومن ناحية أخرى فإن أصوات المناغاة (البأبأة) عند الطفل هى كلام بدون تفكير موجه نحو تلبية أغراض اجتماعية مثل جذب الانتباه إليه وجلب السرور للكبار "أى كلام بدون تفكير".

أما النقطة الحرجة فى علاقة التفكير باللغة فتحدث عندما يبلغ الطفل حوالى السنتين من عمره . ففى هذا العمر نجد أن منحنى التفكير الذى يسبق اللغة ومحنى اللغة التي تسبق التفكير يلتقيان ويترابطان لكى يبدأ نوع جديد من السلوك يصبح فيه التفكير لفظياً والكلام معقولاً.

(وهذا لايحدث للحيوان الذى يظل "التفكير"و"اللغة"عنده نظامين مستقلين ومن المفيد أن نعرف أنه حتى سن السابعة فإن الطفل يكون غير قادر على التمييز بين الوظيفتين الداخلية (التفكير) والخارجية (الإتصال) للغة،ولهذا تبرز ظاهرة "الكلام" المتمركز حول الذات . وقد يكون من

[1] مصطفى غلفان- مرجع سابق، صـ14-15.

الطريف أن نشير إلى أن بعض الكبار الذين يعيشون بمفردهم يتحدثون أحياناً غلى أنفسهم بتعليقات عن أفعالهم ونواياهم .[1]

المبحث الثالث

علاقة القضايا اللغوية بعلم العمران في نظر ابن خلدون

يقول : ابن خلدون فى مقدمته إن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك ، وإنما تميز عنها بالفكر الذى يهتدى به لتحصيل

[1]أحمد شفيق الخطيب-**قراءات في علم اللغة**،ط1، 1427هـ- 2006م، صـ11.

معاشه والتعاون عليه بابناءِ جنسه والمهيء لذلك التعاون وقبول ماجاءَت به الأنبياء عن الله سبحانه وتعالى والعمل به وإتباع صلاح أخراه فهو مفكر فى ذلك كله دائما لا يغتر عن الفكر فيه طرفة عين بل أختلاج الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ماتستدعيه الطباع فيكون الفكر راغباً فى تحصيل ماليس عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم وزاد عليه بمعرفة أو أوإدراكٍ أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحدٍ فواحدٍ من الحقائق وينظر مايعرض له لذاته واحداً بعد أخر ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتتشوق نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيقترعون إلى أهل معرفته ويجئ التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي فى البشر.[1]

ويضيف ابن خلدون فى حديثه عن العمران فيقول "أعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتدأولونها فى الأمصار تحصيلاً وتعليماً هى على صنفين ، صنف طبيعي للإنسان يهتدى إليه بفكره وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه والأول هى العلوم الحكمية الفلسفية وهى التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها من يقظة نظره وبحثه عن الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر والثاني هى العلوم النقلية الوضعية .[2]

وهى كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا فى إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لايندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج إلى . الإلحاق بوجه قياسى إلا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم فى الأصل وهو نقلى فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب والسنة التي هى مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تماهيها للإفادة يتتبع ذلك علوم اللسان العربى الذى هو لسان الملة وبه نزل القران الكريم وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله سبحانه وتعالى المفروضة عليه

[1] عبدالرحمن بن خلدون- المقدمة صـ 476.
[2] المرجع السابق نفسه صـ 476.

وعلى ابناء جنسه وهى مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أوبالإلحاق فلابد من النظر فى الكتاب فى بيان الفاظه أولاً وهذا هو علم التفسير ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله وإختلاف روايات القُراء فى قراءته وهذا هو علم القراءات ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم مايجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هى علوم الحديث ثم لا بد فى افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم إن التكاليف منها بدنى ومنها قلبى وهو المختص بالإيمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هى العقائد الايمانية فى الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر فى القرأن الكريم والحديث لابد ان تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهى أصناف ومنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسبما نتكلم عليها كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها وإن كانت كل ملة على الجملة لابد فيها من مثل ذلك فهى مشاركة لها فى الجنس البعيد من حيث إنها العلوم الشرعية المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى.[1]

وعلى صاحب الشريعة المبلغ لها وإما على خصوص فمباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها كل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور فقد نهي الشرع عن النظر فى الكتب المنزلة غير القران الكريم . قال صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا أمنا بالذى أُنزل علينا وانزل إليكم وإلهنا إلهكم واحد ورأى النبى صلى الله عليه وسلم فى يد عمر رضى الله ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال ألم أتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعى ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها فى هذه الملة بما لا مزيد عليه وإنتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا شئ فوقها وهذبت الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية فى الحسن والتنميق وكان لكل فنٍ رجال يرجع إليهم فيه أوضاعه.[1] مستفاد منها التعليم وأختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما نزكره الأن عند تعديد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه . وما أدرى ما فعل الله

[1] عبدالرحمن بن خلدون- المقدمة صـ 482.

[1]عبدالرحمن بن محمد خلدون- المرجع السابق ص482.

بالمشرق والظن بـه نفـاق العلـم فيـه اتصـال التعليم فـى العلـوم وفـى سـائر الصـنائع الضـرورية والكمالية لكثرة عمرانـه والحضـارة ووجود الإعانـة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد وبيده التوفيق والإعانة .

إن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منـازع الحضـارة التي يدعو إليها الترف .فالمدن والأمطار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهى موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدى وكثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم إليها إضطراراً بل لابد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدين بعصا الملك أو راغبين فى الثواب والأجر الذى لايفى بكثرته إلا الملك ثم إذا بنيت المدينة وكمل تشيدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الأحوال السماوية والأرضية فيها فعمر الدولة وتراجع عمرانها وخربت[1].وأن كان أمر الدولة طويلاً ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشادُ والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح إلى أن تتسع الخطة و تبعد المسافة وينفسح زروع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها وذكر الخطيب فى تاريخه أن الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على من وأمطار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الأربعين ولم تكن مينة وحدها يجمعها سور واحد لإفراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية فى الملة الإسلامية وحال مصر القاهرة بعدها بعد فيما بلغنا لهذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فإما أن يكون لضواحى تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسائط بادية بمدها العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفأس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لأن أهل البداوة إذا انتهت أحوالهم إلى غاياتهم من الرقة والكسب تدعو إلى الدعة والسكون الذى فى طبيعة البشر فينزلون المدن والأمطار ويتأهلون . وأما إذا لم يكن تلك المدينة المؤسسة مادة تغيرها العمران يترادف الساكن من بدوها فيكون إنقراض الدولة خرقاً لسياجها فيزول حفظها ويتناقض عمرانها شيئاً فشيئاً إلى أن يبزعِر ساكنها وتخرب كما وقع فى مصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة بن حماد بالمغرب وأمثالها فتفهمه وربما ينزل المدينة بعد إنقراض مختطيعها الأولين ملك أخر ودولة يتخذها قراراً وكرسياً بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتتزايد

[1]مرجعسابق صـ 484.

مبانيها ومصانعها بتزايد أحوال الدولة الثانية وترفها وتستنجد بعمرانها عمراً أخر كما وقع بفأس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.[1]

[1] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجع سابق صـ 380.

الفصل الثالث

قضية اللغة والمسلكة واكتسابها وملكتها في نظر ابن خلدون

المبحث الأول:مفهوم الملكة اللغوية عند ابن خلدون

المبحث الثاني: قضية اكتساب اللغة وتعلمها فى نظر ابن خلدون

المبحث الثالث: قضية الملكة اللُغوية ومفهومها عند ابن خلدون

المبحث الأول

مفهوم اللغة في نظر ابن خلدون

يقول ابن خلدون: في تعريفه للغة "أعلم أن اللغة فى المتعارف هى عبارة المتكلم عم مقصوده".[1]

وقد عرفها اللغوي العربي ابن جني بقوله: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.." [2]

واللغة هي النظام الكلامي الذى يقرن الأصوات والتراكيب والنحو والدلالة مراعياً في ذلك الجانب الاجتماعي ، وهي الوسيلة للتواصل بين البشر ،والتي عبر الانسان من خلالها عن حاجاته وأفكاره ومشاعره ونقل عن طريقها كل ما توصل إليه من انتاج علمي وثقافي وحضاري وفني وتربوي واقتصادي .

لقد تكلم الانسان لملايين السنين قبل أن تظهر الانظمة الكتابية ، كما أن الطفل يبدأ الكلام وهو في السنة الثانية وحتى قبل ذلك العمر وبعد سن الخامسة أو السادسة يبدأ تعلم القراءة والكتابة في الماضي وحتى الوقت الحاضر، كما أن الناس يتكلمون أكثر مما يكتبون .

واللغة نظام متسلسل على نحو هرمي يتدرج من الوحدات الصغيرة إلى الوحدات الاكبر ،ويكون كالأتى:

- الوحدة الصوتية :وهي أصغر وحدة صوتية لغوية ، ولايوجد أصغر منها مثل ب،ك،ف .
- المقطع : ويتكون من أكثر من صوت مثل سا ، با ،لو .
- الوحدة الكلامية "المورفيم" : هى أصغر وحدة كلامية ولايمكن تقسيمها إلى وحدة أصغر .
- الكلمة هي وحدة كلامية أو أكثر لها شكل صوت مرتبط بمعنى أومعانٍ معينة تحمل قسم واحد أو اكثر من أقسام الكلام مثل : "الفعل والاسم ...الخ " تستعمل حسب نظام صرفى مرتبط بالنحو والدلالة وتكون واسطة معلوماتية بين المتكلم والمستمع أوالصاغي.

[1] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجع سابق صـ 336.
[2] أبي الفتح عثمان بن جني-مرجع سابق، صـ33.

الجملة :تتكون من كلمتين أو اكثر والفقرة من الجمل والمقال : ويتكون من مجموعة من الفقرات، كما تظهر لهجات متعددة ، وهناك لهجات جغرافية ، فلهجة أهل الغرب تختلف عن لهجة وادى الرافدين وقد تختلف اللهجات داخل البلدة الواحدة ،فلهجة أهل الموصل تختلف عن لهجة أهل البصرة . [1]

و جاء في معجم لسان العرب لصاحبه "ابن منظور" أن اللغة تتبدل وتتغير وتتطور حسب تبدل الأقوام والأحوال وأن مصدر كلمة لغة هي"اللغو" وهو ما كان من الكلام غير المعقود عليه ، وهو أيضاً ما لايعتد به من الكلام لتقلبه من حال إلى حال . كذلك ميز "ابن منظور" بين اللغة والكلام ، فيعرف اللغة :بأنها عبارة عن ظاهرة اجتماعية وهي أداة التفاهم والاتصال بين أفراد الأمة الواحدة ،وهي كذلك نمط من السلوك لدى الأفراد والجماعات ،أما الكلام فهو سلوك فردى يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة ، فاللغة تشير إلى الجانب الفردى سواء أكان مايصدر عن الفرد من أقوال يفيد أو لايفيد . فاللغة هي فعل القدرة على الكلام.

وفي التراث العربي مايدلنا على بيان هذا المعنى ،وهذا مثال نستقيه من"الف ليلة وليلة"وهذه الرواية تصف حال الأب الوزير "والد شهر زاد" والذى أراد أن يقتل ابنته وقد أخذته الشفقة والخشية عليها فيقدم لها هذه النصيحة قبل زواجها "بشهر يار" ...يحكي الأب لابنته حكاية رجل أتاه الله القدرة على معرفة لغة الطير والحيوان وكان في أحد الأيام يجالس هذا الرجل زوجته ، فسمع حديث دار بين الحمار والثور مؤداه أن الثور كان يشكو من كثرة الأعباءَ والعمل طوال اليوم فنصحه الحمار بالتمارض والامتناع عن الأكل ولما حدث هذا بالفعل كان من الطبيعي أن تنتقل الأعباء والأعمال من الثور إلى الحمار الذى قدم النصيحة حتى ندم عليها أشد الندم وبات يتوسل إلى الثور لكى ياكل وأن يعود إلى العمل وهنا ما كان من الرجل حينما سمع هذا الحديث أن ضحك بشدة دون أن تدرى زوجته عن سبب ضحكه وأرادت الزوجة أن تعرف سبب كل هذا الضحك فيقول لها زوجها "شيء سمعته ولا أقدر أن أبوح به فأموت .

[1]قحطان أحمد الظاهر- إضطرابات اللغة والكلام،ط1، 2010م، صـ37-38.

فاستسلم الرجل وأحضر أولاده وأرسل في طلب القاضى والشهود ليوصى بماله ثم يبوح لزوجته بالسر .[1]

وإذ يتأهب الرجل للإفضاء وقد رضى بالموت حباً في زوجته وبنت عمه وأم أولاده ودخل الرجل الميزاب ليتوضأ وإذا به يسمع حديثاً طرفاه "الديك والكلب " وفيه يقول الديك للكلب : والله إن صاحبنا رجل قليل العقل ، فانا لى خمسون زوجة ، أرضى هذه وأغضب هذه وهو ماله إلا زوجة واحدة ولايعرف صلاح أمره ، فماله إلا أن ياخذ غصناً من عيدان التوت ثم يدخل على زوجته ويضربها حتى الموت فإما أن تموت أوتتوب ولا تعود تسأله عن شيئ .

سمع الرجل هذه النصيحة الغالية وفعل بزوجته كما أخبره الديك حتى تابت زوجته وصلح أمرها .

هذه الرواية تخبرنا أن اللغة : هي فعل القدرة بينما يكون الكلام هودال علي وجود القدرة ، فهذا الرجل قد أتاه الله القدرة علي معرفة لغة الطير والحيوان وهنا تكون القدرة منحة من الخالق ، بينما يكون الكلام نتاج لعمل الجهاز الكلامي المسؤول عن إخراج الأصوات والذى يتيح بدوره الدخول في ذلك العلم السحرى من الإشارات والعلامات والرموز يتحقق من خلال فعل الوجود في العالم ، كما تتيح الدخول في نسيج العلامات بالأحرين والتي تمنح الوجود معني انسانياً لا يتحفف إلا بفعل اللغة . ويتسع لنا المجال الى الاستعانة بتعريف "ليو بولد" للغة بوصفها القدرة على الإتصال بالأخرين ، بما في ذلك كافة أشكال التواصل وأنواعه وهي كذلك هي التي يتم بها التعبير عن الأفكار والمشاعر في شكل رموز بحيث يمكن لتلك الرموز أن تنقل المعاني للأخرين وتشمل اللغة أشكالاً مختلفة ومتنوعة للاتصال مثل : الكتابة والكلام والعلامات والاشارات وتعبير الوجه والايماءات ، وكل أشكال التعبير الفني من موسيقى وغناء ورسم وتشكيل ومسرح وسينما وشعر وأدب في الحلم لغة ... وحتى الصمت لغة .

وإذا كان السياق هنا قد دفعنا إلى الاستعانة بهذا التعريف استناداً إلى كافة أشكال التواصل اللغوي وهونفس السند الذى يدفعنا أيضاً إلى ألاشارة إلى تعريف (ماجريت لاهي) "بأن

[1]خالد عبدالرازق السيد- اللغة بين النظرية والتطبيق-ط1، 2003م، صـ11-12.

اللغة هي : الشفرة التي يعبر بواستطها عن الأفكار المتعلقة بالعالم من حولنا وذلك بواسطة نظام ونسق متعارف عليه من الرموز لتحقيق الإتصال ").[1]

حأول إدوارد سابير أن يكشف عن طبيعة اللغة ، وأن يقربها إلى الأفهام ، فقارنها بالسير . وخلاصة رأيه أن السير وظيفة إنسانية موروثة بيولوجية ، إنه وظيفة "عضوية" وظيفة "غريزية" (وطبيعى أن السير نفسه ليس غريزة).

أما "الكلام " فهو وظيفة إنسانية "غير غريزية " إنه وظيفة "مكتسبة "إنه وظيفة ثقافية .

بدأ سابير بأن قرر أن الكائن البشرى العادى مقدر له السير لا لأن من يكبره يستولي تعليمه هذا الفن ، بل لأن تكوينه العضوى معد منذ الحمل . للقيام بهذا العمل وعلي هذا فليس للثقافة دخل مهم في هذا الشأن . فليس ثمة إنسان عادى لايتعلم الكلام ولكن مرجع هذا أن الانسان لا يولد في الطبيعة وحسب ، بل إنه يولد في حجر مجتمع من المؤكد أنه سيوجهه نحو تقاليده .

فإذا عزل وليد عن أي مجتمع إنساني فإنه سيتعلم كيف يسير لو قدر له أن يبقى على قيد الحياة ، ولكنه لن يتعلم كيف "يتكلم " أي كيف يمارس النشاط اللغوي طبقاً للنظام التقليدى السائد في أي مجتمع من المجتمعات . ثم إنه لو نقل وليد من بيئته الاجتماعية التي ولد فيها إلى أخري مختلفة عنها أشد الاختلاف فإنه سيسير في بيئته الجديدة سيره لو ظل في بيئته القديمة ولكن كلامه الذى سيتعلمه في هذا الحال يكون مغايراً تمام المغايرة لكلام بيئته التي ولد فيها . فالسير نشاط إنساني عام لا يختلف إلا في نطاق ضيق وذلك إذا إنتقلنا من فرد لفرد ؛ وإختلاف غير إرادى ولا غرض منه ، أما الكلام فإنه نشاط إنساني يختلف أيما إختلاف وإذا إنتقلنا من مجتمع إلى مجتمع ،لأنه ميراث تاريخي محصن للجماعة ، لأنه نتاج الاستعمال الاجتماعي الذى إستمر زمناً طويلاً.[2]

ثم أخذ "سابير " في دفع الأوهام القائمة على زعم أن مافى اللغات من "صراخات" انفعالية " أومن كلمات مقلدة للأصوات الطبيعية شاهد بأن اللغة أساساً غريزياً وردت تلك النظريات القائلة أن الكلام الانساني تطور تدريجياً عن الصراخات الأنفعالية ، أو عن تقليد

[1] خالد عبدالرازق السيد- مرجعسابق، صـ13-14.
[2] محمود السعران – علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، صـ 56.

الأصوات الطبيعية ، ثم حزر من أن يضلل المصطلح الذى يستعمله اللغويون ، ألا وهو "أعضاء " الكلام فيعد تسليماً من اللغويين بأن الكلام نشاط غريزى بيولوجي . [1]

إن اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما . ويدخل في تكوين هذا النسق وحدات هى : النسق الدلالى –والنسق الإعرابى أو النحوى والنسق الصرفى والنسق المعجمى . وتأتي أهمية اللغة من أنها ضرورة من أهم ضرورات الحياة الاجتماعية وهي وسيلة الانسان لتنمية أفكاره وتجاربه وإلى تهيئته للعطاء والإبداع والمشاركة فى تحقيق حياة متحضرة ، فالفرد نواة في مجتمعه ومجتمعه حلقة في كيان المجتمع البشرى ، وقد ربط بعض الباحثين اللغة بالفكر الانساني وقرر بأن إمكانية التفكير أولاً وأخيراً تستند إلى اللغة التي تستخدم في إبراز عناصر الفكر ففرض إنسان دون لغة معناه فرض إنسان دون فكر بل إن بعضاً أخر مثل "وطس و"أرثر كيسلر" : تجاوز ذلك فرأى أن اللغة هي التفكير نفسه .

ويقول "كيسلر" إن التفكير ليس سوى الحركات اللاشعورية للحبلين الصوتيين وإنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء ونفسه " أو بتعبير آخر أن التفكير ما هو إلا مجرد كلام باطن .

ويرى علماء التربية وعلم النفس أن النمو العقلي للإنسان منوط بنموه اللغوي ، وأنه كلما تطورت واتسعت لغة هذا الانسان إرتقت قدراته العقلية فنما ذكاؤه وقوى تفكيره وأكد على ذلك الفيلسوف الفرنسى " إتين كوندياك" أما بياجيه فقد رأى أن الأفكار والمفاهيم تكتسب من المجتمع ، ولكنه مع ذلك أكد على اللغة وبناءً على ذلك اعتبرت المهارات اللغوية مقياساً مهما لمعرفة نسبة الذكاء وأن الإختبار اللغوي له قيمة أعظم من أى إختبار أخر للذكاء وللغة علاقة بعلم النفس ، ذلك أنه قبل أربعة عقود لم يكن علم اللغة يأخذ في الاعتبار دراسة العوامل النفسية التي تفسر اكتساب اللغة والاستعدادات الفطرية لدى المتعلمين والمراحل العمرية التي ترتبط بالدرجات المتفاوتة لتعليم اللغة والفروق اللغوية الفردية والدافعية لتعليم لغة أجنبية وقد أدت الدراسات التجريبية التي أجريت خلال الثلاثين سنة الماضية في مجال إكتساب اللغة الأم واللغات الأجنبية

[1] المرجع السابق، صـ 57

وخاصة في أمريكا إلى نشوء مايعرف باسم "علم اللغة النفسى "الذى حأول أن يجد إجابات لبعض الأسئلة التي طرحت مثل : هل ثمة فروق بين إكتساب اللغة الأم واللغة الأجنبية ؟[1]

واللغة ظاهرة مجتمعية وهى لغة وطنية قومية يمكن استخدامها في كل البلاد العربية وتستطيع أن تلبى جميع الاحتياجات سواء كانت أدبية أو علمية أو غيرها فهى لكثرة معانيها وتنوع مصطلحاتها وقدرتها الصرفية والنحوية وانفرادها بوجود ثنائية فيها تعطيها هذه الصفات قيمة جمالية إلى جانب تنمية الثروة اللغوية عند المتكلم مع كل هذه الاهمية إلا أنها تتعرض لمجموعة من التحديات والمخاطر منها تحديات خارجية تتمثل في محأولات تفريغها من محتواها والإدعاء بانها لا تساير العصر والتطور ومن ثم لا تصلح ومنها تحديات داخلية تتجسد في عدم الاهتمام والتعامل بها وعدم تطويرها وتنميتها وتجمد مناهج تعليمها وتعاني مظهرية جوفاء تتهافت على التحدث بلغة أجنبية وتصف بالعار من يتحدث بالعربية وتمدح اللسان الأجنبي في حين اننا نرى في دول أخرى لا يتعلم التلميذ سوى لغة بلده باعتبارها اللغة الأم وعندما يبلغ العاشر أو الثاني عشر يتعلم لغة أخرى كلغة أجنبية بينما كل المناهج تدرس باللغة الوطنية للبلد.

هناك من يؤكد أن اللغة وعاء للفكر وأن وظيفتها هي التعبير عن الفكر البشرى وكثير من المحدثين يفضلون أن يقصروا وظيفة اللغة على الاتصال وقد قرأنا بعض الأراء عن اللغة وطبيعتها ووظيفتها . ويمكن لنا أن نجمل هذه الأراء حول الوظائف اللغوية ومظاهر السلوك اللغوي في استعمال اللغة للتحية واستعمالها في الطقوس الدينية والأوراد والأدعية واستعمالها فى المناسبات الرسمية وفى إصدار الأوامر والتحكم فى تصرفات الآخرين . وللغة المكتوبة وظيفة فى غاية الأهمية فما نقوله أو نسمعه و نردده شفويا قد يضيع وقد يزيد أو ينقص والوسيلة لحفظ ذلك كله هو تسجيله كتابة والأمة التي تستعمل الكتابة لايضيع تاريخها وتراثها ولا شك أن اللغة تستعمل أيضا للتعبير عن المشاعر المختلفة كما أنها تعبير عن الفكر وأفضل شئ أن ننظر فى اللغة على أساس أنها مظهر من مظاهر السلوك الانساني إن لم تكن أهم تلك المظاهر جميعاً وننظر فى معظم الأحايين لإستعمالها الترافق مظاهر السلوك الأخرى غير اللغوية وتتفاعل معها .

[1] خالد الزواوي- إكتساب وتنمية اللغة ط1، 2005م، صـ16.

المبحث الثاني

قضية اكتساب اللغة وتعلمها فى نظر ابن خلدون

لم يبت ابن خلدون عن الجانب الفطري للغة ولم ينكره عند حديثه عن الملكة اللغوية "اللسانية" حيث يؤكد هذا قائلاً : "ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكة وأحسن استعداداً لحصولها. فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من الملكة ، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف[1] .

فابن خلدون هنا شرح كيف أن قبول الفرد المتمكن من لغة معينة الملكة سهل عليه ، بينما يصعب عليه أمر قبول ملكة أخرى،وفى قوله هذا إشارة إلى مسألتين مهمتين هما:

1-خروج النفس عن الملكة المفطورة عليها إلى ملكة أخرى سيؤدى إلى ضعف النفس وقلة استعدادها أمام ، إكتساب الملكة الأخرى كقدرة وقوة يولدها الطفل ، والتي تحدث عنها "تشومسكى"بعد ابن خلدون بعدة قرون الذى قال بها بكل وضوح"ثم إن هذه النفس الانسانية غائبة عن الأعيان وأثارها ظاهرة فى البدن فكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة ألات للنفس ولقواها ، أما الفاعلية "قالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان ".[2]

2- إقراره لمسالة التدخلات اللغوية أو الاحتكاكات اللغوية الناتجة عن تداخل اللغات وتعددها ، وبالتالى تداخل الملكات اللغوية ومدى إنحياز الناطق للغة ألقوى التي أسست لقوتها من خلال مزاحمتها للغة الأولى مستغلة لغرضها هذا ظروفاً اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية ملائمة ، نحو اللغة العربية التي انتشرت فى العالم تحت لواء الدين الإسلامي والملك "الخلافة الإسلامية".

ويقول : "ابن خلدون" إن الطفل لايكتسب لغته بطريقة غير مبرمجة "مهيأة" من قبل مختصين بعد دراستها ، وبالتالي "برمجتها" أى عفوية خاضعة للتعامل اليومي لمن هم حوله فى بيئته أعتماداً على استعداداته الفطرية ،لكن هل هذا كافٍ فى نظر ابن خلدون لاكتساب الملكة اللغوية .؟

[1] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجعسابق صـ 621.
[2] مرجعساق، صـ168

يرى ابن خلدون أنه من أجل ترقية تلك الملكة التي نحصل عليها عفوياً علينا نهج طريقة تعلم اللغة من خلالها كطريقة مباشرة فى أكتساب الملكة اللغوية والتي تتم بالتعامل مع النتاج العربى الفصيح من شعر ونثر ونظم من كلام السلف دون نسيان القرأن والحديث النبوى الشريف وسائر الفنون الأدبية . [1]

وتتكون القدرة اللغوية أولاً من السليقة أو الفطرة الكامنة عند الطفل وليست كافية لإكتساب اللغة مالم تكن هناك بيئة ،وخصوصاً إذا كانت هذه البيئة صحية . فلو فرضنا أن طفلاً ولد فى مكان معين ، ولم يجد من يتحدث معه ، فلن يكتسب فى هذه الحالة اللغة بالرغم من استعداده الفطري.

وتعد اللغة الأم جزءاً من كيان الذات ، ومكوناً من أهم مكونات الهوية ، ومن الروابط المهمة التي تودى إلى تماسك الأمة ، وهى تعكس صورة الأمة بكل جوانبها الاجتماعية والعقلية والانفعالية والسياسية والفكرية.

ولقد كرم الله الانسان بهذه الميزة لتكون أداة اتصال فى غاية الأهمية للتواصل والتفاهم بين بنى البشر ، وقال الله تعالى على لسان النبى موسى عليه السلام ٹ ٹ چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ٴۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۍ ۍ)

ويعد اكتساب اللغة من الموضوعات المهمة فى علم النفس التطورى ،وعلم النفس اللغوى ، وهى من الملاقات المهمة فى قسم السمع والنطق ، وعندما يشخص أخصائى السمع القصور فى الجهاز السمعى فإن ذلك يكون مؤشراً سلبياً على إكتساب اللغة ، الأمر الذى يبعث على التدخل المبكر ، وكلما كان التدخل مبكراً كان فاعلاً .قد يتطلب الأمر فى بعض الأحيان زراعة القوقعة الحلزونية إذا كان المشكلة فى الأذن الداخلية وكلما كانت العملية مبكرة ساعد ذلك على اكتساب اللغة الأم أواللغة الطبيعية . ويستطيع الطفل أن يقدم نفسه إلى الأخرين من خلال أنماط سلوكية أو اجتماعية ، يستعين على تحديدها باللغة . إن هذا التفاعل قد يؤدى إلى إدراك كلاً منهما

[1] عبدالرحمن بن محمد خلدون- مرجع سابق صـ 623.

الأخر . إن الطفل يفهم أولاً لغة الأخرين ، ولكن بسبب كونهم جزءاً من الحدث اللغوى نفسه يتم الحديث معهم ، ويستجيبون للمحيط من حولهم . [1]

ولاشك أن الوظيفة الأساسية للغة هى التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب ، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل فى حياتهم.ومع ذلك فهى ليست غريزية كما يقرر ذلك كثير من الباحثين [2] فهى إذا حاجة مكتسبة لتلبية عملية التواصل المنشودة بين أفراد المجتمع ، فالمرء قد يعيش حياته كاملة دون أن يتعلم القراءة والكتابة ، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للغة فبدونها لا يستطيع التفكير أو التعبير عن عواطفه ومشاعره وأنفالاته فاللغة هى وسيلة الانسان لتحقيق أنسانيته بصورة متكاملة .

وعملية أكتساب اللغة الأم لا يحتاج فيها الانسان إلى تعليم مقصود ومبرمج أوتدريب منهجى لإنجازها . وقد أستدعت هذه الظاهرة إنتباه ابن خلدون وتعود أهمية دراستها عنده إلى أن اللغة جزء من المعرفة الانسانية ودراسة اكتسابها تسلط الضوء على قضايا اكتساب المعرفة بصورة عامة . ومن أول أرآء ابن خلدون التي أدلى بها فى هذا الباب أن اللغة ملكة لسانية يكتسبها الانسان عبر مراحل متعددة ، يقول " إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات " [3]

أن اللغة فى نظر ابن خلدون ليست طبعا فى الانسان وإنما هى عملية يتم اكتسابها تلبية للحاجة ، ولذا تجده يخطئ من ذهب إلى أن اللغة طبع فى الانسان ، يقول "فإن الملكات إذا إستقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلة لذلك المحل . ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف بشأن الملكات أن الصواب للعرب فى لغتهم إعراباً وبلاغة ، أمر طبيعي . ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك إنما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادئ الرأي أنها جبلة وطبع " [4]

ويعلل ابن خلدون رأيه السابق من حيث إن اللغة عملية أكتساب عند الانسان لأن الأفعال الاختيارية ليست طبعاً للإنسان وإنما هى مكتسبة بالممارسة والمران حتى يتوهم الدارس

[1] قحطان أحمد الظاهر- مرجع سابق، صـ42-43.
[2] محمود السعران – مرجع سابق، صـ 10.
[3] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ1146.
[4] المرجع السابق، صـ1149

أنها طبع جبل عليه الانسان ، إذ يقول : "لأن الأفعال الاختيارية كلها ليس شيئاً منها بالطبع ، وإنما هو يستمد بالقدم والمران حتى يصير ملكة راسخة فيظنها المشاهد طبيعية كما هو رأى كثير من البلداء فى اللغة العربية ، فيقولون : العرب كانت تُعرب بالطبع ، وتنطق بالطبع وهذا وهم".[1]

فخلاصة رأى ابن خلدون فى هذه المسالة أن الانسان بغض النظر عن طبيعة اللغة التي يتكلمها – يتكلم بصورة طبيعية ، إلا أن ذلك الأمر قد يوهم بعض الناس أنها طبع فطر عليه الانسان ، والحال على غير ذلك فهى عملية يتم اكتسابها . وقد أجرى علماء اللغة المحدثون حواراً جاداً مع أراء علماء اللغة الأقدمين حول الطبع والتعلم فى نطق العرب للغة حيث فهم القدامى أن نطق العرب فى عصر الاستشهاد باللغة الصحيحة الفصيحة كان سليقة لهم وطبعاً ملازماً وفطرة فطرهم الله عليها ، فكانما ولدوا وهى تجري فى أعراقهم ، شأنها شأن سحنتهم وطباعهم . ويرى المحدثون [2] أن هذه النظرة غير صحيحة ، وأن اللغة اكتساب وعُرف وأن هناك فرقاً بين الاستعداد للتكلم والتكلم نفسه ، والأول هو الذى يصح أن نطلق عليه مصطلح "الخليقة والفطرة" ،وأما الثاني فيكتسبه الانسان من المجتمع الذى يعيش فيه ، كما يكتسب كل المظاهر الاجتماعية الأخرى .

وابن خلدون يفهم "الطبع والصنعة" فهماً خاصاً لايتفق مع ما يسميه القدماء "الخليقة والفطرة "كما أنه لا يتفق تماما مع فهم المحدثين من إطلاق معني "الإكتساب والعرف" ففهمه لهذه المسالة يدور فى إطار فهمه للملكة اللسانية التي تحصل من تكرار الأفعال التي تحدث بالصفة،ثم الحال،ثم الملكة.

وتفريقه بين "الطبع والصنعة " يعود لتلك الظروف التي تحقق بها هذه الملكة والمناخ الذى تحدث فيه ، فإذا كانت تلك الظروف موجودة تلقائياً ، فإن تلقين اللغة يجي بصورة عفوية فيتمكن منها الناطق دون قصد لتعلمها ، فيستعملها كما يستعملها كل الناس من حوله.[3]والمحدثون من اللغويين العرب فهموا "الإكتساب" على أنه مرادف "للتعلم" ومقابل "للخليقة والفطرة" وراحوا يجادلون القدامى على أساس هذا الفهم ، أما ابن خلدون فقد فهم الإكتساب على

---

[1] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ1104.

[2] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط5، 1975م، صـ19م

[3] عبده الراجحي، فصول في علم اللغة ، دار المعرفة الجامعية، مصر ط1، 1997م، صـ162.

أنه مرادف لحدوث الملكة اللسانية ، وبناء على ذلك فرق فى حدوثها بين "الطبع والتعلم" على أساس من الإختلاط أوعدمه "فالاكتساب" يحدث فى الطفولة أما تعلم اللغة فيحدث فى مرحلة متأخرة حيث يكون اللغوي ،وتكون العمليات العقلية قد نضجت أو قاربت النضج" [1]

ويبدو من خلال ما سبق أن ابن خلدون قد عالج مسالة اكتساب اللغة عند الانسان بشكل عام . وذلك لأن دراسة اكتساب اللغة تحتل أهمية بالغة فى إطار الدراسات الألسنية الحديثة ، وتندرج هذه المسالة قى مجال ما عُرف بعلم النفس اللغوي أو (السيكو ألسنية) ويهتم مجال السيكو ألسنية ، أو علم النفس اللغوي بدراسة قضايا اكتساب وإنتاج الكلام وتفهمه وتكون السيكو السنية مجال بحث واسع مشترك بين الألسنيين وبين علماء النفس فتبحث فى مسائل اكتساب اللغة وأمراض اللغة وعلاقة اللغة بالفكر والذاكرة " [2]

ومن هذه المسائل التي تهتم بها الدراسات الألسنية التي عالجها ابن خلدون مسألة أن اللغة غريزية فى الانسان، بمعني أنه طبع عليها أم لا.

يقول سابير"اللغة وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقاً لتوصل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية " [3]

وهو الرأي ذاته الذى أكده ابن خلدون بقوله "إنما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهر فى بادئ الرأي أنها جبلة وطبع "[4]

ويقول ابن خلدون "إن الطفل يكتسب لغته بطريقة غير مبرمجة "مهيأة" من قبل مختصين بعد دراستها ، وبالتالى "برمجتها" أى عفوية خاضعة للتعامل اليومي لمن هم حوله فى بيئته أعتماداً على أستعداداته الفطرية ، لكن هل هذا كافاء فى نظر ابن خلدون لاكتساب الملكة اللغوية ؟ .

يرى ابن خلدون"أنه من أجل ترقية الملكة التي نحصل عليها عفوياً علينا نهج تعلم طريقة اللغة من خلالها طريقة مباشرة فى اكتساب الملكة اللغوية والتي تتم بالتعامل مع النتاج العربى الفصيح

---

[1] الرجع السابق، صـ163.
[2] زكريا، ميشال- مباحث في النظرية الألسنية، ط1، صـ 66
[3] محمود السعران – مرجع سابق، صـ 11.
[4] ابن خلدون، مرجع سابق، صـ1149.

من شعر ونثر ونظم من كلام السلف دون نسيان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسائر الفنون الأدبية وكلها التي تمكنه من اكتساب الملكة اللغوية فى ظروف مناسبة[1] ،حيث يقول : "... إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً ، شأن سائر الملكات ،ووجه التعلم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامها القديم الجارى على أساليبهم من القرآن الكريم ، والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً فى سائر فنونهم ،حتى يتنزل لكثرة حفظه كلامهم المنظوم،والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ".[2]

ومن ذلك يخلص الباحث إلى: أن الملكة اللسانية "اللُغوية "حقيقة نفسية ووجود فطرى، يُكتسب ويُرقى من البيئة المعيش فيها عن طريق الحفظ الدائم والمتواصل "الإعتياد والممارسة للنتاج اللغوى بكل أنواعه ، وفى هذا تقارب واضح ما بين" ابن خلدون " الذى خصص كلامه من خلال واقعه "المرونة اللغوية للطفل" العربى المغربى"والمشرقى"وقدرته الفطرية فى اكتساب اللغة العربية المفطور عليها ،وبين "نوام تشومسكى"فى حديثه عن اللغة الإنجليزية ،واستنتاجه قواعد متناهية محدودة من اللغة الإنجليزية " غير المنتهية بفضل القدرة المفطور عليها "الطفل الإنجليزى وغيره" .[3]

تعتبر لغة الانسان ... لغة فريده لا مقابل لها لدى غيره من الكائنات الحية ، فهى رموز وليست علامات محددة ، متنوعة فى مضمونها وليست نسبية إلى موضوع خارجي أو داخلى ،ولغة منقولة وليست مرئية.

فاللغة نظام كامل للتفكير انتقالا بين أشكال ومضامين ، فهى امكانية مفتوحة للتطور غير المحدود ، هى أسلوب الحوار بين الأنا والأخر ، وطابع إنساني مكون من كلمات وحروف وأصوات منظمة وأشارات دالة وعلى حد تعبير "جاك لاكان " إن اللغة المنطوقة هى فى الوفت نفسه أساس تطور الكائن الفرد وتطور الكائن البشرى فى أن معاً فالوقت الأساسي والحاسم للتطور النفسى والاجتماعى للكائن البشرى مطبوع بدخول هذا الأخير فى عالم الكلام الرمزى ،

[1]زكريا، ميشال- الملكية اللسانية في مقدمة أبن خلدون، صـ 67-68.
[2]أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1080.
[3]زكريا، ميشال- الملكية اللسانية في مقدمة أبن خلدون، صـ 68.

فقانون الانسان ، هو قانون اللغة ، والانسان يتكلم لأن الرموز قد جعل منه إنساناً ، فالشخص الذى يلج النظام الرمزى يتشكل وفق بناء هذا النظام ويتكون نوعاً ما وفق تكوين لغته الخاصة وبهذا تحدد الرمزية ماهية الكائن البشرية ذاتها .

ويبر " أرنت كاسيرد" أن مايميزالانسان عن غيره من الحيوانات وجود ما يمكن إعتباره جهازاً وسطاً بين أجهزة الحس وأجهزة الحركة وهوجهاز الرموز وهذا الجهاز مسؤول عن تحويل المثيرات إلى معاني ورموزهى التي يستجيب لها الفرد بالحركة وبمعني أخر إن الانسان لايستجيب للمثيرات المباشرة بوصفها علامات بل يستجيب إلى ما ترمز إليه .

على حين يعرف "دى سوسير"اللُغة بانها نظام من علامات تعبر عن الأفكار بصرف النظر عن طريقة التعبير والذى قد يأخذ شكل الكتابة أو الأشارة الخاصة بالبكم أو فى الأفعال الرمزية أو حركات التأدب إلى أخر هذه العلامات فضلاً عن الكلام ذاته .

أما حيث يقول "لاكان" أنه لايمكن لأي ذات أن تكون علة لذاتها فإنه إنما يعنى بذلك أن القوة السببية كامنة فى اللغة على أعتبار أن اللغة ليست نتاجاً للذات وانما هى التي تكونها ، وتطغي عليها كل مالها من دلالة . ولما كانت الصلة وثيقة بين مفهوم اللغة ومفهوم الرمز عند "لاكان" فإن فى وسعنا أن نقول إن من الخطأ تصور "النظام الرمزى" على أنه نتاج من صنع أو تكوين الانسان فى حيث إن الانسان نفسه هو مجرد نتاج لهذا النظام الرمزى .

ومعنى هذا أن الوظيفة الرمزية هى العلة الكافية التي تحدد كل وجودنا ، وكأنما هى " البنية " القصوى التي تتحكم فى كل أنشطتنا .[1]

ومعنى هذا أن الشريعة التي تحكم الانسان إنما هى شريعة اللغة مادام من شأن الرمز (الدال) أن يختزل كل وجوده وأن يدعم كيانه ويؤسسه بأعتباره إنساناً وليس المرضى سوى دال لمدلول قد تم كبته فى أعماق الشعور كأنما هو رمز قد سجل فوق رمال الجسد ، فأصبح يشارك اللغة بغموضه الدلالي (السيما نطيقى)والرغبة تحدد من خلال اللغة دون أن يكون فى إستطاعة اللغة مع ذلك . أن تجي مساوية لها تماماً . وإذن فإن السبيل الأوحد إلى تحرير كلام الذات إنما يكون بإستدراجه إلى صميم عالم رغبته ، بحيث يصل إلى مستوى "اللغة الأولي" التي يستطيع

[1]خالد عبد الرزاق السيد- اللغة بين النظرية والتطبيق، ط1، 2003م، صـ83.

عندها أن يتكلم من حيث لا يدرى واللغة فى أصلها– رسالة مجهولة للتبليغ لأنها موجهة للأخرين ، وبالتالي فإنها لا بد أن تسمع . ولكنها لا تستوعب بتمامها فى صميم الدلالة الصريحة التي يرمي إليها المتكلم وكأنها محظورة بأسرها فى نواياه ، وإنما هى مرتبطة أيضاً بالكيان الكلى للذات ، أعني بتلك الحقيقة الدينامية الخفية التي يسميها "فرويد" بأسم اللاشعور ولهذا يقرر فرويد ،أن لا شعور الذات إنما هو حديث الأخر .

وهكذا فإن أول ما يمكن إستنتاجه أن اللغة الأكثر بدائية هى التي تكون وسيلة للتعبير عن مبدأ اللذة و بينما تكون اللغة الأحدث والأكثر تطوراً هى لسان حال مبدأ الواقع المتكشف للذات .

والإستناد الثاني أن الذات فى تطورها تخلف من ورأيها نماذج من العلاقة بالموضوع أكثر بدائية من تلك المستجدة عليها بعبارة أخرى إن إرتقاء الذات هو إرتقاء فى العلاقة بالموضوع وإعلاء شأن مبدأ الواقع على مبدأ اللذة إذ إن اللغة بما أنها أداة للتعبير عن المكبوت فهى نفس الوقت أداة للكبت .

ويقول "مصطفى صفوان. إن اللغة الأولى التي يعود استباطها إلى العهود الأولي كانت لغة الإيماء ، فاللغة الإيمائية متفق عليها واجتماعية ولم تظهر اللغة اللفظية إلا فى مرحلة لاحقة قريبة من عهدنا الحاضر . والفارق بين لغة الإشارة ولغة الكلام ، أن لغة الإشارة هى لغة طبيعية للحيوانات وللإنسانية بكلها . والإشارة تتمثل فى سلوك غير لفظى يقصد به فاعله التخاطب أو التواصل مع الأخرين . فالإشارات تحمل معنى يتصل بموضوعات أو أحداث أو توقع سلوك ، وتتضمن نوعاً من التخاطب أو التوجه نحو الأخرين بهدف معين .[1]

أى أن الإشارة تتضمن وعياً بالأخرين بوصفهم يفهمون المعنى الذى يوجه إليهم من خلال الإشارة .أى تتمثل الإشارة فى تعبير غير لفظي أو معنى خارجي يمكن للأخرين إدراكه ويعبر الشحص عن إرادته حيث يأمر وينهى أويبلغ بأشارته مايريد من أفكار أو أراء أو مشاعر وأهم ما يميز الإشارات أنها محأولة مقصودة للإفهام أو البيان أو للدلالة على معنى أو قصد معين بغير لفظ .

[1]خالد عبد الرزاق السيد- مرجعسابق، صـ85.

إن استعمال الإشارات بشكل منظم أو غير منظم أمر يلازم كل ماهو حي ، كما أنه يدخل فى كل بنية اجتماعية ، مهما كان نصيب هذه البنية من البساطة والبدائية ولا بد هنا من التأكد على أن استعمال الإشارة يتم فى نطاق واسع جداً من الاتصال والتخاطب بين الأفراد المشتركين فى بيئة واحدة .

والانسان لا ينفك عن استعمال الإشارات المختلفة كماً ونوعاً للتواصل مع أخيه الانسان فهناك حركات اليدين وإيماءات الرأس والوجه والصوت والكتابة والصور والعلامات وكلها أشكال من الإشارات تنتظم فى مجموعات بسيطة أو تولف نظاماً ذا قواعد وقوانين .

واللغة هى أكثر هذه الأنظمة تعقيداً .

والإشارات نتاج اجتماعي واعٍ يتكون من دال ومدلول يمثلان–بوجه عام.شيئاً أومفهوماً غير الإشارة ذاتها ضمن علاقة ثلاثية الأبعاد تتدرج فى عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه.

فعندما يأتى الطفل الوليد تنطلق من جسده "صرخة الكون"الصرخة التي تجعل منه كائناً يملأ الهواء رئتيه ويعطي الأوكسجين لدماغه العناصر الأولى للحياة خارج الرحم . ولكنه لا يعي بعد، معنى هذه الصرخة ولا أثرها فى إنبعاث الحياة فى جسده ولكن،لو نظرنا إلى حال الطفل فى المراحل التالية من عجز للحركة والتنقل التبعية للعالم المحيط به "لأمه"فكم هى مهمة هذه الصرخة البدائية التي تخرج من فمه . فهى فى الأصل حركة عضوية"جسدية " بحتة، ولكنها سرعان ما تصبح انطلاقاً من سلوك الأم وجوابها له ، إشارة تحمل معانى كثيرة ، فالصراخ فى الأشهر الأولى من حياة الطفل إشارة الرغبة والحاجة والضيق.فذات الجنين تعبر عن ضيقها تجاه عجزها التام عن السيطرة على متطلبات الحياة.والكأبة التي تنطبع فى الجسد عند الولادة – كما يقول فريود: تستعمل للتعبير عن نفسها هذه الوسيلة الوحيدة الموجودة فى متنأول الرضيع والتي تمنحه الحماية ضد موجات التشتت . [1]

ولكن القدرة على التعبير عند الطفل لا تلبث أن تأخذ أشكالاً متنوعة كلما تقدم فى بناء ذاته . فمن الصراخ فى حياته الأولى إلى الكلام الذى يستعمله لأغراض عديدة ومختلفة فى السنة

[1]خالد عبد الرزاق السيد- مرجعسابق، صـ92.

الثالثة ،يكون الطفل قد مر فى مراحل من النمو الفسيولوجي يؤدى اكتساب اللغة فيها الدور الرئيسى .

فالطفل يبدأ فى السنتين الأولى والثانية بإستعمال اللغة ، وكأنها نظام لتمثيل الأشياء الخارجية للتواصل . وهويستعمله بطريقتين مختلفتين : طريقة داخلية يتمثل بواستطها فى ذاته تجربته الخاصة ، وهذا مانسميه التفكير أو الحوار الداخلى،وطريقة خارجية للتواصل مع الأخرين وهذا ما نسميه الكلام والغناء (والكتابة فى مراحل لاحقة) ولكن اكتساب اللغة فى بادئ الأمر يأخذ عند الطفل طابع التسمية ، أى إعطاء عناوين لغوية (كلمات أو عبارات) للتجارب الحسية ،أى لما يسمعه ويراه ويشعر به ويتذوقه . فنشاطه الحيوى إذن يسير فى هذه المرحلة فى حدود العلاقة بين التجربة الحسية والتجربة اللغوية وإذا كان المحللون النفسيون يرون فى خطاب الأم (أو العالم المحيط) الألة التي تؤثر على الطفل فإن نظام اللغة هو فى الواقع مصب الإحساسات الجسدية للطفل :يقول"غورى" إن الاضرابات الجسدية عند الطفل تجد فى لغة الأم الشكل والمعنى ، أى مكانا مفضلاً "للتوحيد والتعبير" ولكن لا بد من ملاحظة أن اللغة لا تنتج أو تولد التجربة الحسية ، بل إن الطفل يسقط على النظام اللغوي تجربته الحسية والجسدية ويطابق بينهما .وتصبح اللغة بذلك محل جمع وتوحيد للتجارب الجسدية المتفرقة والمشتتة فتحتل مكانة المعلم ،فالنظام اللغوي لايعين أو يوضح فى المكان فحسب "الانا" يطابق الإشارة التي يعطونى إياها بالحركة أو النظرة أو بالصوت بل هو يعنى كذلك. وهذا يعطي اللغة وظيفة "التوحيد"أى جمع شمل التجارب الجسدية الذاتية المشتتة فى كل متكامل ذى أنظمة ، وقوانين محددة.

ولا بد هنا من التمييز بين اللغة باعتبارها نظاماً مشترك يرجع إليه الأب والأم والطفل (والمجتمع بشكل عام) . واللغة كإنتاج فردى فى عملية الكلام . فقد بات من المؤكد عند علماء النفس أن عملية الكلام عند الانسان هى الوسيلة للتفعيل أو التعبير عن الحزن . [1]

[1]خالد عبد الرزاق السيد- مرجعسابق، صـ94.

المبحث الثالث

قضية الملكة اللُغوية ومفهومها عند ابن خلدون

يعرف "ابن خلدون" الملكة اللغوية وكيفية إكتسابها قائلاً : "...أعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة ، إذ هى ملكات فى اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، وليس ذلك بالنظر للمفردات ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب ، فإذا حصلت الملكة التامة فى تركيب ألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة . [1] فابن خلدون فى تأسيسه لمفهوم الملكة اللغوية ينطلق من حديث عن :

1-فرضية أساسها أن كل اللغات شبيه بالصناعة .

2- التحليل والبرهنة على هذه الفرضية إعتماداً على فكرة أن اللغات الشبيه بالصناعة هى قدرات فى اللسان للدلالة على المعاني التي من الممكن أن تكون ذات جودة أو ذات قصور ، أعتباراً أو قياساً بتمام الملكة أو نقصها ، أى أن "ابن خلدون" يرى أنه كلما كانت الملكة تامة وسليمة كانت المعانى ذات جودة بحيث يستدل لهذا بقوله ".... فإذا كانت ملكته فى الدلالة اللفظية ..مستحكمة أرتفعت الحجب بينه وبين المعاني ..وهذا شأن المعاني مع الألفاظ" .[2]

كما أنه يرى أن تمام هذه الملكة اللُغوية لايتم بالنظر إلى المفردات مثل ما فعلت المدرسة البنوية ، وإنما بالنظر إلى التراكيب على قرار ما قالت به المدرسة التحويلية حيث يقول : "...وإنما هو بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة فى تركيب الألفاظ المفردة للتعبير عن المعانى المقصودة ..وهذا هو معنى البلاغة ، وقد قسم التراكيب إلى قسمين هما :

1- تركيب أساسى وغرضه التبليغ "الجملة البسيطة"الملكة الأساسية .

[1] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1071.
[2] المرجع السابق، صـ1052

2–تركيب بيانى راقٍ وغرضه الإجادة والتزيين "الملكة البيانية ."[1]

ويعتبر مصطلح الملكة اللغوية كمفهوم نوعي وخاص نوعاً من بين الأنواع الأخرى لهذا المفهوم ، كما راينا سالفاً هو من بين أهم المصطلحات اللغوية التي طرحها "ابن خلدون" إلى الوجود فى الميدان اللغوي وذلك نظراً لإرتباطه وتعلقه بشكل مباشر باللغة ويرى "ابن خلدون" أن الملكة صفة راسخة فى النفس {تحصل} وتسهل للإنسان القيام بالأعمال العائدة إليها ،لأن الانسان مهيأ لاكتساب الملكات حيث يقول :

"إن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تظهر دفعة ،ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن إستعداداً لحصولها . [2]

وتتم هذه الصفة الراسخة نتيجة استعمال الفعل وتكراره عدة مرات حيث يقول : "...والملكة صفة راسخة تحصل عن أستعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته".[3]

ويقسم الأفعال المكررة إلى ثلاثة أقسام فياتى التكرار الأول ويسميه صفة متغيرة غير راسخة وياتى التكرار الثاني والذى تكرر فيه الصفة ويسميه "حالاً" وهى صفة متغيرة غير راسخة وفى القسم الأخير تكرر "الحال " فتثبت وتسمى ملكة حيث يقول : "والملكات لاتحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تكرر فتكون ملكة .

أن الملكة عند "ابن خلدون" هى ذلك القياس أو العيار الحقيقى الذى نتعمق به فى أى فن من الفنون للدراسات اللسانية وغير اللسانية ، أى هى تلك الصفة التي نجدها لدى الخياط والحداد ، ولدى الكاتب والنحوى ، فهى فى أن واحد إدراك ومعرفة ومهارة على حد تعبير "محمد الأمين" الذى يقول : " الملكة إدراك ومعرفة علم ثم دربه ومهارة فى هذا الإدراك ولا تكون الدربه والمهارة إلا عن علم ومعرفة وإدراك " . [4]

ويقول ابن خلدون "لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربى وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحفاظ فمن كان محفوظةً

[1] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1053 .
[2] المرجع السابق، صـ721
[3] المرجع السابق ، صـ713
[4] مرجعسابق، صـ1142

شعر حبيبٍ أو العتابى أو (ابن المعتز أو ابن هانى ؛أو الشريف الرضى أو رسائل ابن المقفع أو سهل ابن هارون أو ابن الزيات أو البديع تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة فى البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النبيه أو ترسل البيسانى أو العماد الأصبهانى للنزول طبقة هؤلاء عن أولئك ويظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجادة الملكة من بعدها فبإرتقاءِ المحفوظ فى طبقته من الكلام ترتقى الملكة الحاصلة لأن الطبع إنما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغزيتها وذلك أن النفس وإن كانت فى جبلتها واحدة بالنوع تختلف فى البشر بالقوى والضعف فى الإدراكات وإختلافها إنما هو بإختلاف ما يرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة إلى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدريج كما قدمناه فى الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة ، بحفظ الأسجاع والترسيل والعلمية بمطالعة العلوم والإدراكات و الأبحاث والأنظار الفقهية بمخالفة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الأصول والتصوفية الربانية بالعبادات و الأذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والأنفراد عن الخلق ما أستطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانياً وكذا سائرها وللنفس فى كل واحدٍ منها لون تتكيف به على حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءةٍ تكون تلك الملكة فى نفسها فملكة البلاغة العالية الطبقة فى جنسها إنما تحفظ بحفظ العالى فى طبقته من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين فى البلاغة وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلئ به من القوانيين العلمية والفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة .[1]

إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية فى منثورهم ومنظومهم فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بنُ ابى ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيبٍ وغيلان ذى الرمة والأخوص وبشار ثم كلام السلف من العرب فى الدولة الأموية وصدراً من الدولة العباسية فى خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة من البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبده وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية فى منثورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب

[1] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ640.

فى ذلك أن هؤلاءِ الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرأن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثيلهما لكونهما ولجت فى قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم فى البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم فى نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقاً من أولئك وأرصف مبنى وأعدل تثقيفاً بما إستفادوه من الكلام العالى الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة . ولقد سألت يوماً شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوبين واستبحر فى علم اللسان وجاء من وراءِ الغاية فيه فسألته يوماً ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة فى البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه فسكت طويلاً ثم قال لى والله ما أدرى فقلت أعرض عليك شيئاً ظهر لى فى ذلك ولعله السبب فيه وزكرت له هذا الذى كتبت فسكت معجباً ثم قال لي يافقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلى ويصيخُ فى مجالس التعليم إلى قولي ويشهدُ لى بالنباهة فى العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان . [1]

يرى "ابن خلدون " أن الملكة صفة راسخة فى النفس وتسهل للإنسان القيام بالأعمال العائدة إليها ، لأن الانسان مهيأ لإكتساب الملكات حيث يقول : "إن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها ".[2]

وتتم هذه الصفة الراسخة نتيجة استعمال الفعل وتكراره عدة مرات حيث يقول : " ..والملكة صفة راسخة تحصل عند استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته ".[3]

ويقسم الأفعال المكررة إلى ثلاثة أقسام فيأتى التكرار الأول ويسميه صفة متغيرة غير راسخة، ويأتى التكرار الثانى والذى تكرر فيه الصفة ويسميه "حالاً" وهى صفة متغيرة غير راسخة وفى القسم الأخير تكرير " الحال " فتثبت وتسمى ملكة حيث يقول : " الملكات لا تحصل

[1] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ643.
[2] المرجع السابق ، صـ713
[3] المرجع السابق ، صـ1071

إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر ، فتكون" حالاً " ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ".[1]

إضافة إلى هذا فإن ابن خلدون يفرق بين الملكة والطبع لأن الملكة قبل اكتسابها تكون شعورية، أما بعد اكتسابها فإنها تصبح لا شعورية أما الطبع فإنه منذ البداية غير شعورى لأنه فطرى ويمثل ابن خلدون لهذا الخلط من خلال كلامه عن تحدث العرب بالعربية الفصحى والتي ليست طبعاً جاهزاً دون تعلم أو مران أوممارسة كما يعتقد بعضهم حيث يقول : "....ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب فى لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هى ملكة لسانية فى نظام الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بأدئ الرأي أنها جبلة وطبع " [2]

إن الملكة عند "ابن خلدون " هى ذلك المقياس أو المعيار الحقيقي الذى نتعمق به فى أي فن من الفنون للدراسات اللسانية وغير اللسانية أي هى تلك الصفة التي نجدها لدى الخياط والحداد ،ولدى الكاتب والنحوى فهى فى أن واحد إدراك ومعرفة ومهارة على حد تعبير محمد الأمين الدرقاوى الذى يقول : " ... الملكة إدراك ومعرفة وعلم ثم درجة ومهارة فى هذا الإدراك ، ولا تكون الدرية والمهارة إلا عن علم ومعرفة وإدراك " [3]

فهل تقارب مفهوم "الفارابى" و"إخوان الصفا" وغيرهم مع ما قاله ابن خلدون فى هذا الشأن خاصة وأن "إخوان الصفا"مثلاً يعقدون الأمر على أن الملكة عادة .ولأجل الإجابة عن هذا التساؤل من جهة والتنظير للتقارب الذى يلمس بين راى "ابن خلدون" وأراء علماء العرب القدامى "الفارابى"و"إخوان الصفا" أمثلة ويعتبر مصطلح الملكة اللغوية كمفهوم نوعي وخاص ، نوعا من بين الأنواع الأخرى لهذا المفهوم –كما رأينا سالفاً–وهومن بين أهم المصطلحات اللغوية التي طرحها ابن خلدون إلى الوجود فى الميدان اللغوي ، وذلك نظراً لإرتباطه وتعلقه بشكل مباشر باللغة كظاهرة لغوية بحتة من جهة ، وظاهرة اجتماعية أساسية فى بناء المجتمعات وتواصلها وقيام مؤسساتها "التربوية ، والتعليمية ، والاقتصادية والسياسية "من جهة أخرى لأن اللغة نظام

---

[1] أبن خلدون، المرجع السابق، صـ1085.
[2] محمد أمين الدرقاوي- المناهج التعليمية عند أبن خلدون، مجلة الدعوة الحق- العدد الأول- المغرب، 1996م، صـ62.
[3] علي عبدالواحد وافي- اللغة والمجتمع، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر- القاهرة، 1981م، صـ43.

عام يشترك فيه كل الأفراد ،ويتخذ من قبلهم أساساً للتعبير عما يجول بخواطرهم ،وفى تفاهمهم مع بعضهم البعض .لأن اللغة ليست من الأمور التي يصنعها الفرد بعينه ، إنما هى نتيجة تخلقها طبيعة الاجتماع البشرى ، وهذه الطبيعة التي تجعل "اللغة"أمراً يضطر الخضوع إليه دائماً [1] .

ويقوم "ابن خلدون" تصوره لهذه الملكة من ناحيتين : ناحية الألفاظ المفردة والمركبة ،وناحية تمكن الملكة اللسانية لدى المتكلم بالتكرار والمعايشة ويرى أن تمام الملكة اللسانية إنما هو بالنظر إلى التراكيب لا بالنظر إلى المفردات ، لأن اللغات كلها ملكات للتعبير عن المعاني وايصال المعنى لا يكون باللفظ المفرد وإنما بالتراكيب المؤلفة من الألفاظ ،فيقول : "أعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هى ملكات فى اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب " .[2]

وبذلك يكون "ابن خلدون" من أولئك الألسنيين الذين وضعوا تصوراً كاملاً للملكة اللسانية من حيث الاعتماد على الجملة لا المفردات المكونة ومن حيث تدرجها من الأفهام والصحة إلى البلاغة ،ومن حيث حصولها من المعايشة المستمرة للنطق فى بيئة الفرد ،إذ يقول : "فالمتكلم من العرب يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم فى مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها أولاً .ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة . ويكون كأحدهم . وهكذا تصير الألفاظ واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال.[3]

وأساس الملكة اللسانية عند العرب هى لغة مضر وقد أخذت هذه الملكة تفسد شيئاً فشيئاً قياساً إلى لغة مضر وذلك بما ألقى إليها السمع من المخالف لكلام العرب ، فيقول :"ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم" .[1]

---

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1141.
[2]المرجع السابق ، صـ1141
[3]المرجع السابق ، صـ888
[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 1140.

فابن خلدون يقرر أن اللغة العربية من خلال انتشارها فى البلدان التي دخلت تحت الحكم الإسلامي قد تفاعلت مع اللغات المحلية ،وقد نشأ عن هذا التفاعل والإختلاط ملكة لسانية أخذت بشكل أو بأخر من اللغات المحلية .

ونشأ كذلك نتيجة هذا الاختلاط تغير بعض أحكام اللغة الصوتية الاعرابية ففقد هذا الاعراب بصورة عامة لكن بقيت دلالة الألفاظ على أصلها ، فيقول ابن خلدون " ثم فسد اللسان العربى بمخالطتها فى بعض أحكامه ،وتغير أواخره وإن كان بقى فى الدلالة على أصله وسمى لساناً حضرياً فى جميع أمصار الإسلام".[2]

[2] أبن خلدون، المرجع السابق، صـ1141.

الفصل الرابع

اللُغة وعلومها ومهاراتها فى نظر ابن خلدون

المبحث الأول: اللُغة في نظر ابن خلدون .

المبحث الثاني: علم النحو فى نظر ابن خلدون

المبحث الثالث: الخط والكتابة والمهارة فى نظر ابن خلدون

المبحث الرابع: مفهوم الأدب في نظر ابن خلدون

المبحث الأول

اللُغة في نظر ابن خلدون

يقول "ابن خلدون"هذا العلم: هو بيان الموضوعات اللُغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى فى الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخاطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فأستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضعه عندهم ميلاً مع هجة المستعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرأن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة فى ذلك "الخليل ابن احمد الفراهيدى "ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كله من الثنائى و الثلاثي والرباعى والخماسى وغاية ما ينتهى إليه التركيب فى اللسان العربى وتأتى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة ، وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالى من واحدٍ إلى سبعة وعشرين وهودون نهاية حروف المعجم بواحد لأن الحرف الواحد يؤخذ الثانى مع الستة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرين مع الثامن والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها أعداداً على توالى العدد من واحدٍ إلى سبعة وعشرين فتجمع كما هى بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائى لأن التقديم والتأخير بين الحروف معتبر فى التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات فيما يجمع من واحدٍ إلى ستة وعشرين على التوالى ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الحارج فى ستة جمل مقلوبات الكلمة الثلاثية فيحرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك فى الرباعى والخماسى فإنحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف وأعتمد فيه ترتيب المخارج فبدأ بحروف الحلق ثم بعده من حروف الحنك ثم الأضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة أخر وهى الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين لأن الأقصر منها فلذلك سمى كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يزهبون فى تسمية دواوينهمإلى مثل

هذا وهى تسميته بأول ما وقع فيه من الكلمات والألفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل فى الرباعى والخماسى أكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائى لقلة دورانه .

وكان الاستعمال فى الثلاثى أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه ،وضمن الخليل ذلك كله فى كتابه "العين" وأستوعبه أحسن استيعاب ، وجاء أبوبكر الزبيدى وكتب لهشام المؤيد بالاندلس فى المائة الرابعة فأختصر مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيراً من شواهد المستعمل للحفظ أحسن تلخيص وألف الجوهرى من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لاضطرار الناس فى الأكثر إلى أواخر الكلم وحصر اللغة اقتداءً بحصر الخليل ثم ألف فيها من الاندلسيين "ابن سيدة"من أهل دانية فى دولة على بن مجاهدٍ كتاب المحكم على ذلك المنحنى من الاستيعاب .[1]

وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لإشتقاقات الكلم وتصاريفها فجاء من أحسن الدواوين ولخصه محمد بن ابى الحسن صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح فى إعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها فكانا توأمى رحم وسليلى أبوةٍ ، هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصه بصنف من الكلم ومستوعبه لبعض الأبواب أو لكلها إلا أن وجه الحصر فيها خفى ووجه الحصر فى تلك جلى من قبل التراكيب كما رأيت من الكتب الموضوعة أيضاً كتاب الزمخشرى فى المجاز بين فيه كلما تجوزت به العرب من الألفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الإفادة ثم لما كانت العرب تضع الشئ على العموم ثم تستعمل فى الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج إلى فقهٍ فى اللغة عزيز المأخذكما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم أختص مافيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض فى هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب وأختص بالتأليف فى هذا المنحنى الثعالبي وافراده فى كتاب سماه "فقه اللغة" وهو من أكد ما يأحذ به اللغوي نفسه يحرف العرب عن استعمال مواضعه فيس معرفة الوضع الأول بكافٍ فى الترتيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج لذلك

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، صـ606.

الأديب فى فني نظمه ونثره حرزاً من أن يكثر لحنه فى الموضوعات اللغُوية فى مفرداتها وتراكيبها وهو أشد من اللحن فى الإعراب وأفحش ،وكذلك ألف بعض المتاخرين فى الألفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وإن لم تبلغ إلى النهاية فى ذلك فهومستوعب للأكثر وأما المختصرات الموجودة فى هذا الفن المحصوصة بالمتدأول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلاً لحفظها على الطالب .[1]

وقد كثر التدأول فى علوم اللغة أو اللسان عند العرب خاصة مع بداية الحركة العلمية وفى ظل الدولة الإسلامية ،حيث تعددت مجالاته من دراسة الأصوات وبناء الكلمة ، ودراسة وظائف المفردات وفق حركات أواخرها . [2] ومما دفع بأصحاب كتب الطبقات إلى التميز بين المنشغلين ب "النحو"أو علم العربية منجهة أخرى ،حيث أعتبرت "سيبويه" و"المبرد" من النحاة "والأصمعي"و"أقرانه" من اللُغويين".[3]

لكن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : ماهى الموازين أو المعايير التي احتكم إليها أصحاب الطبقات فى تصنيفهم هذا ؟ . .[3]

للإجابة عن ذاك السؤال نقول ، إنه يرمى إلى البحث فى المفردات اللغوية ، لأن قوله : "الموضوعات اللُغوية " يعنى بها جمع المفردات اللغوية من حيث هى المادة الأولية للكلام ،وهى ما تواضعت عليه الجماعة الواحدة عبر الأزمنة السابقة من كلمات ومعانٍ ، أى من دالٍ ومدلولاته لألفاظ سماعية ودراستها ، وهذا هو علم اللُغة أو علم متن الُغة وهو ما يقابله فى اللغات الأجنبية مصطلح Lexicology. "[4]"

وفقهِ اللغة حسب "ابن خلدون" هو العلم الذى جاء للتفقه فى المفردة أو البحث فى معانيها وتفرعاتها وإشتقاقاتها ، وبالتالى فقد فهمها فهماً دقيقاً بالتعمق فى دراستها ومعرفة خصائصها وأسرارها ومميزاتها حيث يقول : "ثم لما كانت العرب تضع الشئ لمعنى على العموم ثم تشمل فى الأمور الخاصة الفاظاً أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والإستعمال

---

[1] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ607.
[2] ريمون طحان- الالسنة العربية، جـ2،ط2، دار الكتاب اللبناني- بيروت ، 1981م، صـ11.
[3] محمود فهمي حجازي- علم اللغة العربية – مدخل تاريخي- مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، صـ59.
[3] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ1059.
[4] عبدالرحمن الحاج صالح- مجلة اللسانيات- مدخل إلب علم اللسان الحديث – العدد الأول ، 1971، صـ29.

وإحتاج الناس إلى فقهٍ فى اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض".[1]

ولقد عُرفت البيئة العربية مصطلح (اللُغة) منذ زمن بعيد وإن كانت لم تصطلح على تسميته علم اللغة بالمفهوم الذى عرفه به المحدثون ، ومنها تعريف ابن الأنبارى للغة بأنها : العلم الذى يختص بجميع الألفاظ اللغوية ودراستها وينسب إليها فيقال : (لغوى) وهو العلم الذى يعرف قدراً كبير من الألفاظ وعلى الأخص الألفاظ القريبة منها ، أو هو المختص فى إخراج المعاجم اللُغوية .

وفى موضوع آخر نجد ابن الأنبارى ينص على أهمية العلم باللغة فى فهم النص القرأني والإحاطة بمعانيه والوقوف على دقائقه ، فينبه إلى أن العلم باللغة من الدين فيقول : "ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لأنه من فروض الكفايات ، وبه تعرف معاني ألفاظ الفرأن والسنة".أخرج أبوبكر بن الأنبارى فى كتاب "الوقف والإبتدا " بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه – فقال : "لا يقرئي القرأن إلا عالم باللغة".

وأخرج فى الكتاب نفسه من طريف عكرمة عن ابن عباس قال : "إذا سألتم عن شئ من غريب القرأن فألتمسوه فى الشعر ديوان العرب".

وقال الفارابى فى حطبة ديوان الأدب : "القرأن كلام الله وتنزيله ، فصل فيه مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم فما يأتون ويذرون ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر فى علم هذه اللغة " .

ويفهم من تعريفات ابن الأنبارى أن علم اللغة يعنى عنده جميع الألفاظ الغريبة والوقوف عليها، والإحاطة بعلوم العربية لفهم النص القرأني والسنة النبوية .

كما يفيد أيضاً علم تأليف المعجمات والمطولات التي حُشدت بكل ألفاظ العربية.

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1062-1063.

ونقل السيوطي عن الرحالة عبد اللطيف البغدادي من علماء القرن السابع تفريقه بين (اللُغوى والنحوى) فقال : "أعلم أن اللُغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه وأما النحوى فأشانه أن يتصرف فيما نقله اللُغوي ويقيس عليه ، الأمثال والأشباه ".

وهذا التمييزأيضاً يوكد أن عمل اللُغوي كان مقصوراً على جميع الألفاظ اللُغوية كما يروي المحدثون نصوص الحديث .[1]

وذكر "ابن خلدون" مصطلح علم اللغة من باب تصنيف فصول كتابه علم النحو وعلم العربية وعلم اللغة ...الخ "إلا أنه قصد به تأليف المعاجم العربية التي أستهدف بها جميع مفردات اللغة حفظاً لها من الدخيل والمعرب ، بقوله : "هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية ، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى من الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم ،حتى أتى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثيراً من كلام العرب فى غير موضعه عندهم ميلاً مع هجنة المتعربين فى إصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين "خشية الدروس وما ينشأ من الجهل بالقرأن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين " ومن ثم عرض للمعجمات العربية وأولها معجم "العين" للخليل بن احمد . و"الجمهرة" لابن دريد و "الصحاح للجوهرى ..الخ .

كما قصد به كتب المفردات كالفصيح لثعلب والألفاظ لابن السكت وكذلك عنى به الرأي فى نشأة اللغة أتوقيف هى أم مواضعة وأنتهى إلى أن اللغة هى : إثبات أن اللفظ كذا للمعنى كذا ، والفرق فى غاية الظهور. وقد ذكر طاش كبرى زادة تعريفاً لعلم اللغة ينحصر فى جواهر الألفاظ و مدلولاتها على معانيها الجزئية ، فيقول : "هو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعما حصل من تراكيب كل جوهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئى وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصى .

[1]نادية رمضان النجار- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين- الطبعة الأولى، صـ22.

وعلى ذلك فإن علم اللغة عند القدماء . كما يمكن أن نفهم من هذا التعريف يشمل البحث فى الألفاظ المفردة ودلالتها ، وفى الحروف التي تتركب منها الكلمة بالإضافة إلى بعض الجوانب الصرفية المتصلة بذلك ، كما يهدف هذا العلم عندهم إلى معرفة الخطأ والصواب من الألفاظ اللغوية ،فهو علم معيارى يحترز به للوقوف على ما يفهم من كلام العرب . ويجدر بنا أن نشير إلى أن علماء العربية المحدثين قد استعملوا مصطلح "اللغة ، علم اللغة ، ومتن اللغة.." بمعنى واحد ولا يفرقون بين دلالته قديماً وما أصبح يشير إليه حديثاً إلا أن من اللأفت للنظر أنهم عبرو عن مصطلح (علم اللغة) حديثاً بمصطلح (فقه اللغة) ثم عدلوا عن هذا ،للدلالة على دراسة علمية أو فى ذاتها ومن أجل ذاتها على حين انحصر مدلول مصطلح (فقه اللغة) على الدراسات التراثية الخاصة بفقه العربية أو المرتبطة بتحقيق النصوص وتفسيرها .....الخ.[1]

ولا شك أن علم اللغة من العلوم التي نالت عناية وأهتماماً كبيراً فى القرن العشرين فيعرفه دايفد كريستال بقوله : "علم اللغة هو العلم الذى يدرس اللغة دراسة علمية " .

ونفهم من التعريف السابق أن يشتمل على مصطلحين : أولهما "اللغة" وثانيهما "الدراسة العلمية " . واللغة هنا لا تعنى لغة معينة (إنجليزية كانت أو عربية) وإنما يعنى بها كون اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها جميع المتكلمين .

أما العلمية فيعنى بها المنهج القائم على التجريد والتعميم ، الذى من خلاله يمكن استنباط القوانين والقواعد العامة التي تنطبق على جميع اللغات البشرية ويتسم المنهج العلمى بخصائص منها :

1-المنهج العلمى يكون متماسكاً فى أجزائه كلها ويكون بعيداً عن التكرار .

2- المنهج العلمى يدرس اللغة من جميع مستوياتها دراسة دقيقة كما هي مستعملة .

3- على الباحث اللغوي أن يكون موضوعياً غير متحيز لفكرة معينة ،وأن يبحث جميع الأدلة حتى ولو كانت متعارضة مع رأيه .

[1]نادية رمضان النجار- مرجعسابق، ص25.

4- علم اللغة الحديث يبحث اللغة بوصفها ظاهرة صوتية والكتابة تابعة لها ، ولا يمكن بحث الكتابة بمعزل عن الواقع اللغوى المنطوق .[1]

ويستطرد المؤلف فيبين وظيفة علم اللغة فى وقت بعينه بغض النظر عن تاريخها السابق أو اللاحق وهذا ما عُرف بالمنهج الوصفى في دراسة اللغة وهو يعنى باللغة كما هي موجودة بالفعل وليس كما يجب أن تكون، فهو لا يعنى أيضا بتطور اللغة فى عصر من العصور السابقة أو اللاحقة . كما لا يعنى بالصحة اللغوية أو معيار الصواب أو الخطأ وإنما يشغله قضايا مثل : ما وظائف اللغة في المجتمع ؟ وكيف تقوم بها؟ وكيف تدرس أية لغة دراسة تحليلية ؟ وهل مثل هذه القضايا لكي نحددها لابد لنا من أن ننظر نظرة غير تاريخية أى ننظر إليها كموضوع للبحث ، لا بد من دراسته بطريقة تجريبية وبالمصطلحات الخاصة به مثلما تدرس تماماً الظواهر الطبيعية أو الكيماوية .

يختلف دور (عالم اللغة)عن (الناقد) فعالم اللغة عندما ينظر إلى استعمالات اللغة لا يهتم إلا بوصف حقائق الكلام لكى يرى الطريقة التي استعمل بها الصوت والنحو المفردات ومدى التناسب بينها ولكى يشرح إن أمكن ذلك . وعلى عالم اللُغة أن يتخذ مصطلحات المنهج الحديث وينتحي منهج الدراسات الجمالية أو الأخلاقية أو أي قيم نقدية أخرى . وعلم اللُغة يقوم بدراسة اللُغة في ذاتها ومن اجل ذاتها ولكى يستطيع أن يقدم وضعاً كاملاً ومحدداً لها.ويدرس هذه اللغات كوسيلة لغاية أبعد وهي الحصول على المعلومات عن طبيعة اللُغة بشكل عام .[2]

[1]نادية رمضان النجار- مرجعسابق، ص27.
[2]نادية رمضان النجار- مرجعسابق، ص28.

المبحث الثاني

علم النحو فى نظر ابن خلدون

يقول ابن خلدون في مقدمته "إعلم أن اللُغة في المتعارف هى عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا بد ان تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها هو اللسان وهو فى كل أمة بحسب إصطلحاته وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور أعنى المضاف ومثل الحروف التي تفضى بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك إلا فى لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم "أوتيت جوامع الكُلم " وأختصر لى الكلام إختصاراً فصار للحروف فى لغتهم والحركات والهيئات أى الأوضاع اعتباراً فى الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذ الأخر عن الأول كما تاخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان في أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكه بما ألقى السمع للمخالفات التي للمستعمرين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما القي اليها مما يغايرها لجنوحها إليه بإعتبار السمع وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكه راساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن الكريم والحديث على الفهوم فاسنبطو من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام يلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلاله بتغير حركات هذه الكلمات فأصطلحو على تسميته إعراباً وتسميه الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك وصارت كلها إصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعةً لهم مخصوصة وأصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشاره علي رضي الله عنه لأنه راى تغير الملكة فأشار عليه بحقظها ففزع إلي ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأت ثم كتب فيها الناس من بعده إلي أن انتهت إلي الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد وكان الناس أحوج إليها لذهاب تلك الملكة

من العرب فهذب الصناعة وكمل أبوابها وأخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذى صار إماماً لكل ماكتب فيها من بعده ثم وضع أبوعلي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كُتباً مختصره للمتعلمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة .[1]

وحدث الخلاف بين أهلها فى الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب وكثرت الأدلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق فى التعليم وكثر الاختلاف فى إعراب كثير من أيات القرأن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم فى الاختصار فأختصرو كثيراً من ذلك وأمثاله أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشرى فى المفصل و ابن الحاجب فى المقدمة له وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك فى الأرجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطى في الأرجوزة الألفية وبالجملة فالتأليف فى هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعلم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والإندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما راينا من النقص فى سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الي جمال الدين بن هشام من علمائمها استوفي فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف من المتكرر في أكثر أبوبها وسمها بالمغني في الإعراب واشار الي نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد إنتظم سائرها فوقفنا منه علي علم جمٍ يشهد بعلوقدره في هذه الصناعه ووفور بصناعته منها وكأنه ينحو في طريقه منحاة أهل الموصل الذين أقتفوا أثر ابن جنى واتبعو مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشئ عجيب دالٍ على قوة ملكته وإطلاعه والله يزيد فى الخلق ما يشاء .

ومما سبق نستنتج أن ابن خلدون قد توصل إلى ما يلى :

_القوانيين المستنبطة هى القواعد الخاصة وشبه الكليات وقد قيس عليها سائر أنواع الكلام .

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، ص603-604.

_الدلالة تتغير بتغير حركات هذه الكلمات التي قاس عليها النحاة مصطلحين على تسميتها بعلم النحو ، ومن خلال هذه الاستنتاجات نصل إلى القول : إن النحو عند "ابن خلدون" هو عبارة عن تلك القوانين والقواعد وشبه الكليات التي قيس عليها كلام العرب بعد الإصطلاح والإتفاق " . وفى هذا عبارة قريبة وحضور قوى لتعريف ابن جنى للنحو العربى ، كاحد أبرز النحاة العرب القدامى الذين فصلو ودققوا فى تعريفهم لهذا العلم . وعليه فإن هذا التعريف على الرغم من أنه لم يأت مباشراً – كما أسلف الذكر – ولا مفصلا دقيقاً أنه جاء شاملاً وافياً للغرض خادماً له.[1]

نظرته للنحو العربى : يشغل "ابن خلدون " فى هذا الجزء بالذات فلسفته المعروفة المصاحبة للمصطلح على المقدمة "الجزء الخاضع للكل" بحيث يجعل منطلقه من أجل الوصول إلى ماهية النحو ونظرته له إطار العلاقة القائمة بينه وبين علم اللغة . حيث يقول : "...أعلم أن اللغة فى المتعارف هى عبارة المتكلم عن مقصوده.[2]

معللاً هذا التعريف بقوله " وتلك العبارة فعل لسانى ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان ".[3]

ولا يورد "ابن خلدون" تعريفاً مباشراً لهذا العلم ، كما هو الحال بالنسبة للعلوم الأخرى المتعلقة بعلوم اللسان العربى ، نحو ما نجده عند سيبويه إلا أنه يحأول وبطريقته الوصفية –غير المباشرة – أن يدقق فى كل ما يكتب وأن يقف مع كل مصطلح يستعمله رغبة فى تحليل مفاهيمه وتوصيلها للمتلقى .

وقياساً بما هو عليه النحو فى تاريخ العربية حيث كان قائما على محأولة تنظيم اللغة بعقلنة ابنيتها الداخلية وبالتالى التحكم فى نزوعها الطبيعى نحو التغير والتبديل ، لهذا نجده لا منظماً لهذه اللغة أساساً وإنما جاء كابحاً لقوة التفاعل بينها كمؤسسة لغوية وناموس الزمن الطبيعى.[4]

فابن خلدون قد استنتج مفهوم علم النحو بقوله التالى:

1– استنبطوا من كلامهم قوانين .

---

[1] نادية رمضان النجار، ص 67.
[2] **ابن خلدون، المقدمة**، ص 1056.
[3] المرجع السابق نفسه
[4] **عبدالسلام المسدي**- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الطبعة الأولى، صـــ93.

2- شبه الكليات والقواعد .

3-يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه لحقاً

4- رأوا تغيير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فأصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً وأمثال ذلك .

5- صارت كلها إصطلاحات خاصة بهم .

6- فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة .

7- إصطلحوا على تسميتها بعلم النحو .[1]

أشار "ابن خلدون" إلى الوحدات اللُغوية المقطعة إلى وحدات دالة مختلفة تتحدد من خلال الاستعمال اللُغوي فى كل إرسال خطابى مشكلة الكلام معبراً عن هذا بقوله : " ...بالعبارة وهى الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله سبحانه وتعالى فى اللسان ، ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض فى مخاطباتهم "[2]

ومميزاً بين القونمين المتميزين أو المختلفين وبين المتغيرين الصوتيين لفونام واحد قائلاً : " ..... والظاهر أن هذه القاف القريبة من الكاف هى التي ينطق بها أهل الجيل البدوى من العرب لهذا العهد وجعلوها متوسطة بين مخرجي القاف والكاف على أنها حرف مستقل وهو بعيد والظاهر أنها من أخر مخرج القاف لإتساعه كما قلناه ... وقد يزعم زاعم أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الأمصار ليست من هذا الحرف وإنما جاءت من مخالطتهم للعجم ، وأنهم ينطقون بها كذلك ، فليست من لغة العرب ولكن الأقيس وكما قدمناه من أنهما حرف واحد متسع المخرج فتفهم ذلك والله الهادى المبين " .[3]

إن الأصل فى نشأة اللغة أنها باعتبارها للأشياء بدأت محسوسة ثم تدرجت إلى الناحية الذهنية غير المحسوسة فأصبحت تجمع بين مفرداتها الأثنين معاً . وهى فى بداياتها نقلت من السلف إلى الخلف بدون قواعد نحوية أو صرفية أو دلالات متنوعة ثم جاءت مرحلة التقعيد

[1] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1057.
[2] المرجع السابق، صـ1023
[3] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ1077

نتيجة ظروف وعوامل معينة من أجل حفظ اللغة من الضياع ومن أجل أن لا تتفرع العاميات منها إلى لغات جديدة .

لذلك عندما سأل سيبويه الفتى الذى رأه نازلاً عن الجبل ، من أين اتيت يافتى؟ قال الفتى : نزلت من الجبل . قال لمَ قلت من الجبل ؟ ضحك الفتى وكأنه إستغرب "أن يسأل عن حركات الكلام"قائلاً :هكذا قالها أبي .

وفى هذا خير دليل على أن دراسة النحو والصرف ماهى إلا للتخاطب بلغة سليمة ، فإن حصل ذلك فلا داعى لإضاعة العمر فى دراسة اللغة كمفاهيم لا كقواعد جامدة ضمن تفرعات عديدة مثل مفهوم الفاعلية والمفعولية والجملة وشبه الجملة والظروف وأدوات الربط ومعاني الحروف والمشتقات والمصادر ..... وهكذا ، ثم بعد أن تترسخ فى الذهن يأتى دور التفريعات النحوية والصرفية ويتبع هذه الدراسة الخطوط العامة والعريضة للدلالات مثل الدلالات اللغوية والدلالات الشرعية والإصطلاحية والتاريخية والواقعية .[1]

وقد نشأ النحو العربى فى أواخر القرن الأول الهجرى فى البصرة لأسباب دينية ترجع إلى الحرص الشديد على قراءة القرأن الكريم قرءة صحيحة وأسباب اجتماعية تعود إلى شيوع اللحن على الألسنة وخاصة فى الأمصار حيث أختلط نطق شعوبها للعربية بعاداتها اللُّغوية إلى جانب ما حدث للسليقة اللغوية عند العرب النازلين بالأمصار لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصحى . فأحسن الشعوب فى الأمصار بحاجتها إلى تحديد أوضاع العربية الصحيحة لهم حتى يجيدوها ويتمتلوها . كما ترجع نشأة النحو إلى أسباب قومية تعود إلى اعتزاز العرب بلغتهم وخشيتهم من الذوبان فى اللغات الأعجمية . ونما النحو وأرتفعت أركانه فى القرن الثانى الهجرى على يد المذهب البصرى واستمر وتعلل أراؤه ونناقش مصطلحاته وعوامله ومعمولاته ويتوسع فى القياس فيه حتى القرن الثالث الهجرى على يد المذهب الكوفي وظهرت المذاهب النحوية البغدادية والأندلسية والمصرية التي راحت تأحذ من كل من المذهبيين الأولين بنصيب وتصطنع لها منهجاً خاصاً ،وكان من أثر تلك العناية بالنحو العربى أن حفلت المكتبة العربية بنتاج وفير من الكتب

[1] فتحي زرياب سبيتان- أصول وطرائق تدريس اللغة العربية، الطبعة الأولى، صـ9.

النحوية والصرفية واللغوية . وقد اتصل النحاة الأوائل بالدراسات الإسلامية فى الفقه والكلام وألمو بالحركات الفكرية فى البصرة والكوفة .

وعاشوا فى عصر الترجمة فعرفوا نحو لغات أخرى كالسريانية واليونانية .

ووقفوا على شئ من الفلسفة والمنطق وخاصة كتب أرسطو المنطقية التي لم تخلومن دراسات نحوية وفصلت القول فى القياس وأقسامه ولواحقه من استقراء وتمثيل . وانعكس ذلك كله على دراسات النحو العربى فكثرت فيها العوامل وكثر فيها الإستقراء والتعليل والقياس وعتى فيه بالحدود والتعريفات .

وكان لإتصال النحاة بالعلوم المختلفة أثر فى تعقيد الدراسات النحوية والصرفية فقد أخذ النحويون بأساليب غيرهم من العلماء حفاظاً على مكانتهم فراحوا يحققون فى رواة اللغة موثقين بعضهم طاعتين فى بعضهم الأخر كما كان يفعل علماء الحديث . وكذلك احتزوا حزو الفقهاء فراحوا يفترصون كثيراً من الصور النحوية العويصة ويضعون القواعد لها كما فى (زيد عمر ضاربه هو)و(قائماً ليس زيد)و(لا أصحبك ما قائماً دام زيد) وكذلك (ما طعامك زيد أكل)على الرغم من عدم أستخدام هذه التراكيب فى اللغة وكذلك فعلو فى الصرف حين أفرد تبويبه فصلاً للابنية المنطوقة أو المقترحة التي لم ترد فى كلام العرب .[1]

وهو العلم الذى يعنى بقواعد تركيب الجملة وموقع الكلمة فيها اسماً أو حرفاً أو فعلاً وما موقعه فى الجملة فعلاً أو فاعلاً صفة أو بدلاً والتشبه والجمع والتكسير والإضافة والنسب ويعنى بدراسة علاقة الكلمات فى الجملة نفيها وعلاقاتها بما بعدها وما قبلها . ويعد من وظائفه الاعراب وهو الإبانة عن المعانى ويعد الخطاء النحوى عيباً مهنياً عند المتعلمين والدارسين ، بل يقلل من قدر المتكلم والمتحدث ويعرضه للنقد والعيب وربما أعطى مفهوماً للكلام غير المراد .

والنحو لغة :الطريق والجهة ،أي النحو فى طريق كلام العرب ليسلك ذلك للأعاجم طريق كلام العرب فينطقوا بفصاحتها وأساليب كلامها .فالنحو العربى علم قائم بذاته له قواعده وأصوله ، وبدونه لا يستطيع الدارس أن يفهم العربية وأساليبها وقد جاء فى كتاب الله أمثلة مهمة

[1]وفاء كامل فايد المجامع العربية وقضايا اللغة، الطبعة الأولى، 2004م، صـ338.

وواضحة لبيان أهمية النحو فمثلاً : قوله تعالى "أن الله برئ من المشركين ورسوله " . فمن عطف رسوله على المشركين كان فى درجة الكفر وأفهم معنى غير المراد . ومن عطفها على لفظ الجلالة أصاب المعني وأفاد الفهم الصحيح .

وكذلك فى قوله تعالى "وإذا ابتلى إبراهيم ربه " فالفاعل هو لفظ الجلالة ربه والمفعول به إبراهيم ، فمن لم يدركها ويعرف حالتها الأعرابية دخل فى الاشكال ولاتتبين مثل هذه الأمثلة إلا من خلال النحو والإعراب .

والنحو يقسم الكلام إلى ثلاثة أقسام هى الاسم والفعل والحرف .

فالإسم مادل على ذات وأسند الكلام إليه وقبل "أل"التعريف ودخول حرف الجر عليه . مثل لفظة : كتاب .فتقول بالكتاب وتتحدث عنه فتقول أخذت هذا النص من الكتاب ، ويقبل الاسم كذلك التنوين فتقول كتابٌ. وقسموه إلى قسمين معرب ومبني فالمعرب ما تغير أخره حركة واحدة فى جميع أحواله مثل هؤلاء،حزام،أمس،قبلُ،وبعدُ.

والفعل : هو مادل على حدث فى زمن ما ويقسم غلى ثلاثة اقسام ماضيٍ ومضارع وأمر ومنه مبنى ومعرب فالمضارع معرب دائماً. والأمر والماضى مبنيان . والحرف هو مالم يقبل شيئاً من علامات الاسم أو الفعل مثل هل وبل ومن وفي واللام وبا الجر وغيرها . ومما تقدم يلحظ أهمية النحو فى صيانته الألسن عن الوقوع فى الخطأ ومجانبته أساليب العرب فى كلامها وهو من أهم العلوم اللغوية .[1]

[1] **كمل جبري** عبهري، توفيق أسعد حمارشة وآخرون- اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2005م، صـ30.

المبحث الثالث

الخط والكتابة والمهارة فى نظر ابن خلدون

يقول : "ابن خلدون"هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس فهو ثانى رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة لأن الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وأيضاً فهى تطلع على ما فى الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهى شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها فى الانسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغى فى الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط فى المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمران ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصراً أو قرأءته غير نافذة ونجد تعليم الخط فى الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقاً لاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً فى وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحس فى التعليم وتأتى ملكته على أتم الوجوه وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال وقد كان الخط العربى بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة فى دولة التبايعة ما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى و بالخط الحميرى وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباءِ التبابعة فى العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنهُ أهل الطائف وقريش فيما ذكر ويقال إن الذى تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدرة وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق.[1]

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، صـ463.

وقد لقي البحث فى أصل الكتابة العربية ونشأتها عناية كبيرة من علماء المسلمين والباحثين المعاصرين وعلماء الأثار الذين قدموا فى ذلك دراسات مستفيضة ،لكن نتاج دراساتهم لم تكن حاسمة ،لأن مثل هذا الموضوع يقوم على الافتراضات والأراء الشخصية ،وكان لهم فى نشأة الكتابة أقوال متباينة منها :[1]

أن الكتابة العربية هى توفيق وإلهام من الله وذلك أن الله ألهم "أدم عليه السلام"فكتب كتباً من طين ،ودفنها قبل موته بثلاثمائة عام ،فلما كان طوفان نوح أخذت كل أمة كتابها ،فكان نصيب إسماعيل بن إبراهيم كتاب اللغة العربية وهكذا تعلم العرب العربية .

وحجتهم فى ذلك أن الكتابة مخلوق عجيب لا يستطيع إنسان ضعيف أن يقوم به ،فلا بد من صانع عظيم هو الله عن طريق أنبيائه ، وقد أفاض أحمد بن فارس وهو أحد القائلين بهذا الرأي فى الحديث عن هذا الموضوع ،وذكر عدداً من الآيات القرآنية التي تدعم رأيه فهو يقول : الخط توقيف من الله وذلك لظاهر قول الله (عز وجل).

ﭧ ﭨ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ.[2]

وقال أيضاً :ﭧ ﭨ ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ.[3]

ويعقب ابن فارس على ذلك فيقول :"وإذا كان الأمر كذلك فليس ببعيد أن يوقف أدم (عليه السلام) أو غيره من الأنبياء على الكتاب ،فأما أن يكون مخترعاً اخترعه من تلقاء نفسه فشيئ لانعلم بصحته إلا من خبر صحيح ويستشهد ابن فارس بقوله تعالىﭧ ﭨ ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ.[4]

وقوله تعالى :ﭧ ﭨ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ.[5]

---

[1] جمعة علوة- الكتابة العربية نشأتها وتطورها- فنونها ومشكلاتها، الطبعة الأولى، 2005م، ص5-6
[2] سورة العلق الآية (1-5)
[3] سورة القلم الآية (1)
[4] سورة البقرة الآية (31)
[5] سورة الرحمن الآية (3)

ثم يقول مؤكداً رأيه : التي أعلم الله (جل ثناؤه)أنه علمها أدم (عليه السلام)ويقول أيضاً : وهل يكون أول البيان الا علم الحروف التي يقع بها البيان ولم لا يكون الذى علم أدم الأسماء كلها هو الذى علمه الألف والباء والجيم والدال .[1]

أقوال في الخط العربي:

قال عبد الحميد الكاتب – وزير مروان بن محمد آخر خليفة في الدولة الأموية (أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم).[2]

و قال عبد الرحمن بن محمد بن خلدون فى مقدمته عن الخط : "إنه صناعة شريفة يتميز بها الانسان عن غيره وبها تتأدى الأغراض لأنها المرتبة الثانية من الدلالة اللُغوية " .[3]

لا ينكر أحد مكانة الخط فى مجال التعليم فهو من وسائل التعبير الكتابي ومثل الخط الجيد فى تيسير الأداء وصدق الإبانة عن أفكار الكاتب مثل التعبير الجيد والخط الردء المشوهّ لا يبين مقاصد الكاتب وكثيراً ما يطمس معالمها أو ينحرف بها عن وجهها الصحيح.

والخط من ضرورات الحياة المتحضرة ومن المزايا التي انفرد بها الانسان عن غيره من الأحياء . وهو أيضاً من الفنون الجميلة الراقية التي تشحذ المواهب وتربى الذوق وترهف الحس وتغري بالجمال والتنسيق وتظهر أهميته فى التعليم فى اظهار وكشف المواهب عند الطلبة من دقة الملاحظة والإصابة فى الموازنة والحكم ويعود الطلبة النظام والدقة والنظافة ويثير فيهم حب المناقشة ويأخذهم ر بالتأني و الصبر والمثابرة .

وتذكر معاجم العربية أن الخط والكتابة والتحرير والرقم والسيطرة كلها بمعنى واحد وتعنى نقل الأفكار من عالم العقل إلى عالم مادى على الورق ، فالخط "لغة" هو الكتابة بالقلم وخط الكاتب الكتاب من باب كتبه والخط الطريق الطويل .

أما فى الإصطلاح : فالخط رموز يرسمها الانسان تمكنه من قراءة الكلام فى أى لغة من اللغات ، فالخط تصوير اللفظ برسم حروف هجائه التي ينطق بها .

---

[1] جمعة علوة- مرجع سابق، صـ5-6

[2] أحمد صومان- أساليب تدريس اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2009م ، صـ295.

[3] أبن خلدون، مرجع سابق، صـ465.

ذكر القلقشندى فى كتابه (صبح الأعشى) أن الخط هو ما تتعرف منه صور الحروف المقررة وأوضاعها وكيفية تركيبها خطاً ، وقيل أيضاً أنه علم تعرف به أحوال الحروف فى وصفها وكيفية تركيبها فى الكتابة .[1]

وقد عرف ابن خلدون الخط بقوله "هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما فى النفس".[2]

لقد ساعدت بنية الخط العربي وما يتمتع به من مرونة وطواعية وقابلية للمد والرجع والاستدارة والتزويه والتشابك والتداخل و التركيب على إرتقاء الخط العربي إلى فن جميل يعنى فيه بالجماليات الزخرفية للحروف والكلمات والخط العربى يعتمد فناً وجمالاً على قواعد خاصة تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة وتستخدم فى أدائه فنياً العناصر نفسها التي نراها فى الفنون التشكيلية الأخرى . ومما يلاحظ على كثير من طلبتنا اليوم تدنى مستويات خطوطهم مما يوحى باندثار هذا الفن الذى استمر على مدار القرون السابقة يشكل جزءاً من تراثنا الفكرى والفنى الذى نتميز به عن غيرنا من الأمم والذى يحتم علينا التنبيه لهذا الأمر ومن ثم وضع الحلول المناسبة والتي تضمن لنا المحافظة على هذا الإرث الحضارى الذى يميزنا عن غيرنا ونحن من ننتمي إلى التربية والتعليم تقع علينا مسؤولية عظيمة فكل ما يتلقاه الطالب من علوم ومعارف لا تصل إلا من خلال هذا الخط العربى الذى نجد الاهتمام به يقل تدريجياً وخاصة فى عصر الحاسبات التي أصبحنا نعتمد عليها كثيراً فى كتاباتنا وهذه المسؤولية لا تقع على معلم اللغة العربية فقط ، أو من يتولى تدريس الخط العربى فى مدارسنا بل تقع المسؤولية على كل معلم يقدم للطلاب مادة تعتمد على الخط العربى ، فلا بد أن يشارك فى تعويد الطلاب على تحسين خطوطهم من خلال المادة التنى يقوم بتدريسها .

ولا يختلف أثنان على أهمية تدريس الخط ، فكلما كان الخط واضحاً سهلت قراءته وأفصح صاحبه عن مكنون نفسه وتظهر أهمية تدريسه فيما يلي :

1- وضوح الخط ييسر فهم المقروء ويوضح فكرة الكاتب .

[1] أحمد صومان- مرجعسابق ، صـ295.
[2] أبن خلدون، مرجعسابق، ص465.

2- الارتياح النفسى عند قراءة النص المكتوب بخط واضح وجميل .

3- سهولة القراءة وتوفير الوقت عندما يكون الخط واضحاً ومن هنا قد يكون سبباً فى تنمية مهارة القراءة .

4- الخط من الفنون الجميلة الراقية التي تشحذ المواهب وتربى الذوق وترهف الحس ويعزى بالجمال والتنسيق .

5- قد يكون الخط مجالاً لتعليم الطالب بعض المُثل والقيم الأخلاقية.وذلك إذا تم اختيار المادة المناسبة من القرأن والسنة .والشعر والتراث العربى .

6- و تظهر أهمية تدريس الخط من خلال الصفات الخلقية والتربوية التي يكتسبها الطالب من خلال تعلمه الخط.[1]

المبحث الرابع

مفهوم الأدب في نظر ابن خلدون

[1] أحمد صومان- مرجع سابق، صـ296-297.

يقول عبدالرحمن بن محمد بن خلدون هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك في كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الملكة في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثه أثناء ذلك متفرقة استعار منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض أيام يفهم به مايقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلي تقديم جميع لاما يتوقف عليه فهمه ثم أنهم إذا أرادو أحد هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالإصطلاحات العلمية فيحتاج صاحب هذا الفن حينذ إلي معرفة إصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها، وسمعنا من شيوخنا في مجال التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي الغالي البغدادي وما سوى الأربعة فتبع لها وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه، وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية.[1]يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني كتابه في الأغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي أختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم إستيعاب وأوفاه ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت له في ذلك فيها نعلمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها أنى

[1]أبن خلدون، مرجعسابق، ص612.

له بها، ونحن الآن نرجي بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب[1].

أما تعريفه في اللغة فقد قال الزمخشري: أدب هو من أدب الناس وقد أدب فلان وأدب، وتقول مأدبة ما لأحد مأربه.

وأدبهم على الأمر جمعهم عليه يأدبهم، يقال أأدب جيرانك لتشاورهم.

وقال صاحب آداب الصحبة: الهمزة، والدال، والباء أصل واحد تتفرع كمسائله وترجع إليه – فالأدب أن تجمع الناس على طعامك، وهي المأدَبة والمأدُبة، والمآدب جمع مأدَبة.[2]

ومن هذا القياس الأدب لأنه مجمع على استحسانه، ومنه حديث سيدنا عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه: (إن القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا مأدبته).

وتأويله أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله تعالى للناس لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه.

ومن قال مأدبة جعلة مفعلة من الأدب.

والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدباً لأنه يؤدب الناس للذين يتعلمون المحامد، وينهاهم عن المقابح أي يدعوهم.

وأصل الأدب الدعاء، وأدبه فتأدب علمه، لذلك يقال هذا ما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولكل وجه أدب والأدب ملكة تعصم من كانت فيه عما يشينه، والجمع آداب، ومن معانيها أنها تطلق على ما يليق بالشئ أو الشخص فيقال آداب القاضي، والأدب الظرف وحسن التنأول.

وأستعمله الزجاجي– رحمه الله تعالى– في التعليم من الله عز وجل فقال هذا ما أدب الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم، والأدب الذي يتأدب من الناس سمي أدباً.

---

[1] أبن خلدون، مرجعسابق، ص613.

[2] أبوعبدالله الحسينبن أحمد الحسين الزوزني- شرح المعلقات السبعة، بيروت- لبنان، المكتبة العصرية صيدا، ط1، 2001م، صـ9

ويشرح العلامة المناوي- رحمه الله تعالى- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

ويقول معنى الأدب هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة.

وفي شرح النوابغ هو مايؤدي بالناس إلى المحامد.

وكل الآداب الحسنة متلقيات عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه مجمعها ظاهراً وباطناً، ثم قال الأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وأدب البلاد أدباً ملأها عدلاً، وفلان قد استأدب بمعنى تأدب.

وقال صاحب كشاف إصطلاحات الفنون في بحر الجوهر: الأدب حسن الأحوال في القيام والقعود، وحسن الأخلاق واجتماع الخصال الحميدة.

وفي العناية الأدب أسم يقع على كل رياضة محمودة يخرج بها الانسان إلي فضيلة من الفضائل[1].

وقال أبوزيد: ويجوز أن يٌعرف الأدب بأنه ملكة تعصم من قامت به عما مايشينه.

وفتح القدير الأدب الخصال الحميدة.

والمراد بالأدب في قول الفقهاء كتاب القاضي أي ما ينبغى للقاضي أن يفعله لا ما عليه.

والأولى التعبير بالملكة لأنها الصفة الراسخة بالنفس ومالم يكن كذلك أدباً لا يخفى، والفرق بين الأدب والتعليم أن التأديب يتعلق بالمرادات والتعليم بالشرعيات أي الأدب عرفي والتعليم شرعي، والأدب دنيوي والتعليم شرعي وفي كتاب التلويح في بحث الأمر: التأديب قريب من الندب إلا أن الندب لثواب الآخرة والتأديب لتهذيب الأخلاق وإصلاح العادات.

وقد يطلقه الفقهاء على المندوب في جامع الرموزوما وراء ما ذكر من الفرأيض والواجبات في الحجة سنن تاركها مسئ وغير تاركها غير مسئ.

[1]أبوعبدالله الحسينبن أحمد الحسين الزوزني- مرجعساق، صـ10

وفي البزازية في كتاب الصلاة في الفصل الثاني الأدب ما فعله الشارع مرة وتركه أخرى، والسنة وما واظب عليه الشارع، والواجب ما شرع لأكمال الفرض والسنة لإكمال الواجب والأدبلإكمال السنة. وقيل الأدب عند اهل الشرع هو الورع وعند اهل الحكمة صيانة النفس.

وحكى أن حاتماً الأصم قد قدم رجله اليسرى عند دخوله المسجد وتغير لونه وخرج مذعوراً وقدم رجله اليمنى فقيل: ما ذلك؟ فقال لو تركت أدباً من آداب الدين خفت أن يسلبني الله جميع ما أعطاني.

فقال حكيم الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق[1].

وقال أهل التحقيق الأدب الخروج من صدق الأختيار والتضرع على بساط الأفتقار.

وفي تعريفات الجرجاني الأدب عبارة عن معرفة مايحترز به جميع أنواع الخطأ.

وأدب القاضي هو إلتزامه إلي ما ندب إليه الشرع من بسط العلم ورفع الظلم وترك الميل.

ويفرد المرصفي باباً عند تعريف الأدب فيقول فيه: أعلم أن الأدب معرفة الأحوال التي يكون عليها الانسان المنخلق به محبوباً عند أولي الألباب الذين هم أمناء الله على أهل أرضه، من القول في موضعه المناسب.

فإن لكل قول موضعاً يخصه فحيث يكون موضعه غيره فيه خروجاً عن الأدب: كما قال الجرول: الشاعر المعروف بالحطيئة: فإن لكل مقام مقالاً.

ومن الصمت وهو السكوت المقصود في موضعه والكلام المنبهعلى مواضيع الأقوال وعلى مواضيع الصمت كثير ومن الأحوال التي يكون التخلق بها أدباً وضع الأفعال في مواضعها كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭽ[2].

عند العرب من معاني الأدب أنه الخلق المهذب والطبع القويم والمعاملة الكريمة للناس، ونرى هذا المعنى في النص الجاهلي الذي ورد عن عتبة بن ربيعة وه يصف لابنته هند وزوجها أبا

[1] المرجع السابق، صـ15
[2] سورة الشورى، الآية 40

سفيان من غير أن يسميه لها فقد جاء في هذا الوصف: (بدر أرومته وعز عشيرته يؤدب أهله ولا يؤدبونه). وأوضح من هذا النص أن المراد به ذو خلق نبيل وأنه يأخذ أسرته بإتجاه هذا الخلق النبيل.

وفي رد هند بنته ما يدل على هذا المعنى أيضاً، إذ قالت: (إني سأحذه بأدب البعل). تريد إني سأعامله بالخلق الكريم الذي ينبغي أن يعامل به الزوج.

ثم عرف في صدر الإسلام بمعنى الثقافة، ويدلنا على ذلك ماروي أن علياً قال للرسول صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره)، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:(أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد) فليس التأديب هنا معناه التهذيب الخلقي، كما قد يترأي لمن يقرأ جملة الرسول مقطوعة عن السؤال ولكن معنا التثقيف والتعليم.

وظل معنى التثقيف مفهوماً من كلمة التأديب في العصر الأموي حتى أطلق على طائفة من ممتازي الأساتذة أسم المؤدبين وهم القائمون بأمور التعليم المعروفة أيام بني أمية، وهو التعليم بطريقة الرواية والشعر والأخبار ومايتصل به العصر الجاهلي.

وصارت كلمة الأدب تدل منذ العصر الأموي على هذا النوع من الثقافة التي ليست ديناً ولا متصل بالدين وإنما هي شعر وخبر وما يتصل بالشعر و الخبر.

وقد تطور هذا المعنى مع الزمن وكان يتسع حيناً فيشمل إضافة للشعر والأنساب والأخبار وأيام الناس، علوم اللغة التي أخذت تدون في آخر العصر الأموي والعصر العباسي ثم أخدت هذه العلوم تستقل واحداً إثر واحد فضاق معنى الأدب وأختصر على الشعر وما يتصل به أو يفسره من الأخبار والانسابوالأيام، وأضيف إلي الشعر النثر الفني والخطابه الرائعة وما يتصل بهما من تفسير للغريب أو شرح للمعاني المستغلقة[1].

وهكذا شهد القرن الثالث تحديداً لمعنى الأدب أنه المنثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما أو يفسرهما أو يدل على مواضع الجمال فيهما.

[1]أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، القاهرة- مصر، النهضة ط6، مايو 2004م، صـ4

فهذا محمد بن يزيد المبرد يقول في صدر كتابه (الكامل): (هذا كتاب ألفناه يجمع ضروب من الآداب وما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة باللغة وإختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة)[1].

ومما هو جدير بالذكر أن مؤلف كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية، هو الشيخ حاتم الرازي المتوفي سنة 323هـ عندما عرض لكلمة الأدب ولم يحددها بهذه الحدود التي تحدثنا عنها، بل عرفها بما يدل على أن الأدب في عصره لا يزال بمعنى الثقافة العامة إذ يقول: والأدب معناه الدعاء ، والأدب الداعي، وأدبه بمعنى دعاه، ويقول أدب فلان ولده، وأدبه المؤدب، وأدبه معناه أعاد القول عليه بالدعاء إلي الرياضة والتعليم، والولد مؤدب أي مدعو إلي الرياضة مرة بعد مرة. والأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، وهو قسمان طبعي وكسبي.

فالطبعي ما فطر عليه الانسان من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم ، والكسبي ما أكتسبه بالدرس والحفظ والنظر وهو الذي يعرف بأنه صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حالة من أحواله وهو المدعو بأنواع الأدب وموضعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته والإجاده في فني وأنه يرود الأخلاق ويلين الطبائع وأنه يعين على المرؤة وينهض بالهمم إلي طلب المعالي والأمور الشريفة[2].

وأركانه أربعة الأول قوى العقل الغريزية وهي خمسة: الذكاء والخيال والحافظة والزوق والحس، الثاني معرفة الأصول وهي مجموعة في قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنونه الخطابة.

وتنقسم هذه الأصول إلي قسمين عامة وخاصة، فالعامة كالتآليف الأدبية من منظوم ومنثور في أغرض شتى ، والخاصة كالتأليف المفردة من رسائل أو الأمثال. والثالث مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر فيها ليدخر الكاتب كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة وشروطها أربعة: الأول أن يستقل الطالع ببعض علماء اللغة وأئمة الأدب

[1]الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان،ط1، الاردن، صـ2.
[2]أحمد بن أبراهيم بن مصطفى، جواهر الأدب، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط4، 2012م، صـ11.

فيختصر على دراستهم حتى ينسج على منوالهم. والثاني أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردد مراراً ما أستحسنه من تصانيفهم كي يرود الذهن في حلية سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم، والثالث أن ينتقي منها شيئاً مما استجاده من اللفظ الحر والتراكيب والمعاني البليغة لتكون ذخراً لذاكرته ومهمازاً لقريحته، والرابع الارتياض وهو التدريب بوجوه الإنشاء والتوسع في شرح بعض المعاني البليغة فتبينه بأوجه وتنمقه بأشكال البديع بأن يجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلي غير ذلك وأن تحذو حذو المتقدمين في أوضاعهم بأستعمال ألفاظهم ومعانيهم بأن تحل النظم وتأتي به نثراً أنيقاً وتأخذ النثر فتصوغه[1].

ثمرة الأدب

ولعل خير محأولة قام بها العرب لجني ثمرة الأدب تلك التي قام بها ابن خلدون في مقدمته تحت عنون (علم الأدب) حيث يقول هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ماعساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الإجادة ومسائل في اللغة والنحو مثبوته أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، ومع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة.

والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب، وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلي ترميم جميع ما يتوقف عليه فهمه. ثم أنهم إذا أرادو حد هذا الفن قالوا الأدب وه حفظ أشعار الأدب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف[2].

يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم من كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة

[1] أحمد بن أبراهيم، مرجع سابق، صـ12.
[2] أبن خلدون، مرجعسابق، صـ13

البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم للإصطلحات العلمية، فيحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلي معرفة إصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها، وهذا التعريف يدل على أن الفرق لم يتضح في ذهن ابن خلدون بين الأدب والتأدب لأن ما ذكره من الإجادة فني المنظوم والمنثور[1] ليس ثمرة للأدب ولكنه ثمرة للتأدب ودراسة الأدب ، وما عرف به الأدب من أنه حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخد من كل علم بطرف.

ليس تعريف للأدب ولكنه تعريف للتأدب كذلك، أما الأدب فهو الذي يجمعونه من كلام العرب من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الإجادة وما يرتبط بذلك كله من لغة ونحو وأيام وأنساب، في وقوف ابن خلدون عند السجع الجيد من بين ألوان النثر ما يظهر أثر العصر في هذا التعريف، فأن النثر المقتدى به يومئذ، والمعدود من الأدب هو هذا السجع المرموق في ذلك العهد بعين الإجلال والتقدير وعندما حدثنا ابن خلدون عن الأخذ من كل علم بطرف أشار إلي هذه الثقافة الواسعة التي ينبغى أن يحصل عليها الأديب ليأتي بالأدب الجيد من المنظوم والمنثور[2].

ولا ينبغي أن يفوتنا أن إشارة ابن خلدون إلي الأدب بأنه علم حيناً وفن حيناً آخر، تدل على أن التفرقة بين العلم والفن لم تتضح في الأذهان إلي أن كتب ابن خلدون كتابه، بل كان يراد منها معاً المعرفة الانسانية.

أن لفظة الأدب قد تقلبت في العربية على ثلاثة أطوار لغوية، تتبع ثلاثة حالات من أحوال التاريخ الاجتماعي فهي لم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الإسلام إلا بما يؤخذ بمعناها النفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع والمناسبة بين أجزاء النفس في إستوائها على الجملة، ومن الحديث الشريف (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ولعل ذلك كان توسعاً منه في أصل مدلول الكلمة الطبيعي على ماهو معروف من أمرهم في اشتقاق اللغة لإنتزاع بعضها من بعض فإنهم يقولون: أدب القوم يأدبهم أدباً إذا دعاهم إلى طعام يتخذه.

[1] أحمد أحمد بدوي، مرجعسابق، صـ13.
[2] المرجع السابق نفسه، صـ13

والقوم أهل بادية مفقرة تأكل فيها الشمس حتى ظلها وتشرب نسيمها وطلها، فإذا هلك فيها الزاد هلك حامله، وإذا لم يدفع عن نفسه بأسلحة فمه الجوع قاتله[1]، ولذلك تمدحوا من أقدم أزمنتهم بالقرى وعدوه من أعظم مفاخرهم لأنه من شريعة الطبيعة التي أدبتهم هذا الأدب بل هو شعرها في أخلاقهم، إذا إرتقى بعد ذلك بإرتقاء الشعر حتى تخرقوا فيه كما يؤثر عن كرمائهم وأجوادهم مما أستوعبته كتب المحاضرات.

فلما كان هذا الخلق مظهر القيم الصالحة فيهم وحقيقة الأدب الطبيعي منهم، وأرقى معاني الانسانية عندهم، لأنه ليس وراء الحياة على الحيّ غاية، توسعوا فيه بمقدار ما بلغوا من رقيٍ الأدب وجعلوه تعريفاً نفسياً كما مر ولابد أن يكون ذلك بعد أن أرتقوا في اجتماعهم وأشتبكت العلائق بينهم حتى أخذت الفطرة الطبيعية تمتزج بأكثرهم من يخالطها من صنعة الاجتماع، وكان ذلك سبباً في انتباههم إلي هذا الوضع، لأن الأدب على إختلاف معانيه أنما هو رد النفس إلي حدود مصطلح عليها إصطلاحاً وراثياً.

ثم لما جاء الإسلام وضعت أصول الأدب واجتمعوا على أن الدين أخلاق يتخلق بها فشت الكلمة حتى إذ نشأت طبقة المعلمين في عهد الدولة الأموية كا سيجئ، أطلق على بعض هؤلاء لفظ المؤدبين وكان هذا الإطلاق توسعا ثانياً في مدلول الأدب لأنه أكتسب معنى علمياً إذ صار أثر من آثار التعليم، ثم أستفاضت الكلمة وكانت مادة التعليم الأدبي قائمة على الرواية من الخبر والنسب والشعر واللغة ونحوها، فأطلقوه على ذلك ونزلت منزلة الحقائق العرفية بالاصلاح وهذا هو الدور الثالث في تاريخها اللغوي وهو أصل الدلالة التاريخية فيها، ثم انهم إذا أرادو أحد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف.

وهذا كما ترى ثبت لما قررناه، لأن كل ما عدوه من موضوع الأدب إنما هو مادة الرواية وعلى ذلك يستحيل أن يكون معنى الأدب الإصطلاحي جاهلياً ولا أن يكون من مصطلاحات القرن الأول، لأن الكلمة لم تأت في شئ من شعر المخضرمين ولا المحدثين، وقد كان أهلها ومورثوها من بعدهم لو أنها اتصلت بهم أو كانت منهم بسبب[2].

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، بيروت- لبنان، المكتبة العصرية، ط1، 2007م، صـ31.
[2] مصطفى صادق الرافعي، مرجع سابق، صـ31.

والعجب أنك تجد لهم القوافي الطويلة على الباء وقد أستوعبوا فيها ألفاظ مادة الأدب ومشتقاتها مع أنه ليس أخف منها عند المتأخرين ولا أعذب ولا أطرب ولا أعجب والسبب في ذلك ماذكرناه وما سنذكره.

قد روى صاحب (العقد الفريد) في باب الأدب من كتاب كلمة أسندها لعبدالله بن عباس– رضي الله عنهما– وهي قوله (كفاك من علم الدين أن تعلم مالا يسع جهله، وكفاك من علم الأدب ان تروي الشاهد والمثل) و مقتضى ذلك أن علم الأدب كان بالغاً من الإتساع في عهد ابن عباس حتى صار أقل مالايسع جهله.، منه رواية الشاهد والمثل للقرآن والعربية، وهو نهاية الغرابة والشذوذ، لأن ابن عباس توفي فيما بين سنة 68 و 74هـ على أختلاف أقوال المؤرخين، ولم يكن يومئذ التحقيق بما يصح أن يسمى علم الأدب.

وقد تناقل المؤرخون هذه الرواية عن العقد الفريد دون أن ينتبهوا لما فيها من فساد الدلالة التاريخية، ولكن الصحيح أن الكلمة لمحمد بن علي بن عبدالله بن عباس، كما أسندها إليه الجاحظ في كتاب البيان والتبين[1].

ومحمد هذا هو أصل الدولة العباسية لأنه أول الخلفاء العباسين وتوفي سنة 125هـ وقيل 126هـ ومما يرجح فساد تلك النسبة إلي ابن عباس قول عمر بن دينار، فيه ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس في الحلال والحرام، والعربية والأنساب والشعر.

ولو كان لفظ الأدب معروفاً يومئذ لأجتزأ به وطوي فيه الثلاث، فالكلمة إذن من موضوعات القرن الثاني أي بعد أن بلغت الدولة الأموية مبلغها من المجد العربي.

أما في القرن الأول فقد كانوا يسمون ما يقرب من ذلك بعلم العرب كما ذكره المسعودي في (مروج الذهب) إذ نقل عن المدائني حديثاً تصادر عليه ابن عباس وصعصعه ابن صوحان، فيه ان ابن عباس بعد ان سأل الرجل عن قومه وعن الفارس فيهم ونحو ذلك مما يتعلق بالأيام والمقامات قال: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب.

[1] المرجع السابق، صـ 36

وماكان الأدب الإصطلاحي أكثر من هذا العلم يومئذ، وبعد أن عرفت حدود الأدب في القرن الثاني أشتهرت الكلمة، وبقيت لفظ (الأدباء) خاصة المؤدبين لا تطلق على الكتاب والشعراء واستمرت لقباً على أولئك إلي منتصف القرن الثالث ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة (حرفة الأدب) وأول من قالها الخليل بن أحمد الفراهيدي وذلك قوله كما جاء في المضاف والمنسوب للثعالبي (حرفة الأدب وآفة الأدباء) لأنهم كانو يكتسبون بالتعلم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة، وذلك حقيقة معنى الحرفة إطلاقاً.

فلما فشت أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث بطلت العصبية التي[1] كانت تجعل للشعر معنى سياسياً فأتخذوه حرفة يتباهون بها وجعلوه مما يتذرع به لأسباب العيش من جائزة خليفة أو منادمة أمير أو مادون ذلك من الأسباب.

وهذا هو أصل الكلمة التي تعاورها الأدباء وأعتبرها الشعر ميراثاً دهريا إلي اليوم، وإنما تتأولها ابن بسام من لغة العامة وطبعها على شئ من عبث أخلاقه التي بلغت من هجاء الأمراء والوزراء وذوي المكانة من الناس إلي هجاء أبيه وأخوته وسائر أهل بيته حتى سناها طريقة فيقال لمن يقف إثره في عبث اللسان (أنه يجري في طريق ابن بسام) ثم صارت الآداب من يومئذ تطلق أيضاً على فنون المنادمه وأصولها وأحسب ذلك جاءها من طريق الغناء إذ كانت تطلق عليه في القرن الثالث لأنه بلغ الغاية من أحكامها وجردت فيه الكتب وأفردت له الدواوين من مختارات الشعر وكانوا يعتبرون معرفة النغم وعلل الأغاني من أرقى فنون الآداب وفيها وضع عبيد الله بن طاهر من ندما الخليفة المعتز بالله المتوفي 289هـ كتابه (الآداب الرفيعة) لذلك قال ابن خلدون من الغناء في الصدر الأول[2] كان من أجزاء هذا الفن (الأدب) وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحيل أساليب الشعر وفنونه.

نستنبط من هذا العرض أن لفظ الأدب مر في تطوره ببضع دلالات قبل أن يأخذ معناه الإصطلاحي الذي ثبت عليه بدأ بالدعوة للمأدب ومنها أنتقل إلي التهذيب ثم غدا بمعنى التكسب بالتعليم وأخيراً أستقر على معناه المعهود وهو التعبير الفني للشعر والنثر عن معنى من معاني

[1] غازي طليمات، الأدب الجاهلي، دمشق- سوريا، دار الفكر، ط2، 2007م، صـ19.
[2] المرجع السابق، صـ20

الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الجميل المؤلف بطريقة فنية تؤثر في النفس وتستثير فيها حب الخير والفضيلة والجمال وتبغض إليها الشر والرزيلة والقبح.

وبقيت لفظة الأدب المحافظة على معنى التهذيب كما يرى مصطفى صادق الرافعي، حتى منتصف القرن الثالث الهجري، إذ قال: (أن لفظة الأدباءبقيت في القرن الثاني الهجري خاصة المؤدبين، لا تطلق على الكتاب والشعراء، واستمرت لقباً على أولئك إلي منتصف القرن الثالث).

ولما كان المؤدبون أي: المعلمون أصنافاً، فيهم النحوي واللغوي والعالم والشاعر وقد شملت لفظة الأدباء هؤلاء جميعاً وفشت بين القوم عبارة الخليل بن أحمد التي رمى بها المتكسبين بالعلم والتعليم، وهي (أدركته حرفة الأدب) فإذا قيل عن شاعر أو كاتب أو عالم مثل هذا القول كان القصد وصمة بالفقر والحاجة التي تدفع أهل العلم إلي التكسب بالتعليم.

وفي القرن الرابع أخدت ألفاظ (الأدب والأدباء والمؤدبين) تتخصص أخذ الناس يطلقون كلمة الأدباء على الشعراء والكتاب المشتغلين بالمنظوم والمنثور[1].

ويعلل الرافعي هذا التخصص بقوله: (ولما فشت أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث بطلت العصبية التي كانت تجعل للشعراء معنى سياسياً فأتخذوه حرفة يكدحون بها وجعلوه مما يتذرع به لأسباب العيش أنتقل إليهم لقب الأدباء للمناسبة بين الفئتين في الحرفة لم يلبثوا أن أستأثروا به لتوسعهم في تلك الأسباب وأطلقت لفظة الأدب على فنون المنادمه وأصولها.

ولم ينتصف القرن الرابع حتى كان لفظ الأدباء قد زال عن العلماء جملة وانفرد بمزيته الشعراء والكتاب.

والناس في الأدب متفاوتون تفاوتاً عظيماً، فمن قرأ العلوم طاف البلاد وعاشر طوائف الناس بعقل حاضر وتنبه قائم وضبط جيد عرف الفوائد المختلفة والأهواء المتشعبة وميز الحسن منها

[1]عرفات الأشقر، الأدب الجاهلي، سوريا- دمشق، دار الفكر،ط1، 2007م، صـ17.

وتخلق به، يكون بالضرورة أثر أدباً من قرأ وخالط وغالط ولم يطف، وممن قرأ وطاف ولم يعاشر، وموافقة جميع الناس أمر غير ممكن[1] .

فإن الدين والعقل يمنعان من إرتكاب أمور لابسها بعض ذوي الأهواء وغيرها، أولئك هم السفهاء الذين لا ألباب لهم، فهم بمنزلة قشور الأشياء التي لولاها لبها لا تصلح إلا للنار.

فيجب على الانسان لأجل أن يكون محبوباً عند الناس حاصلاً على أغراضه منهم أن يطلب الأخلاق المحمودة عند أولي النهى، ليتخلى عن أضدادها وأن يعرف أنه لاسبب لفساد الأقوال والأفعال حتى تكون منشؤها الإ إذا وضع الشئ في غير موضعه.

فلابد له مهما كان إجتهاد عظيماً في طلب مواضع الأشياء ليأمن كثيراً من الغوائل ومكدرات النفوس. ومن العيب الفاحش هو نقص القادر على التمام كما قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور بالمتنبي.

فعلمنا أن للتكلم بالعربية موضعاً يكون فيه حسناً كقراءة الكتب ومحأولة الفطناء حيث تكون في المباحثات العلمية ومراجعات التعليم والتعلم، وموضعاً يكون فيه غير حسن وهي المخاطبات السائرة بين عموم الناس الذين قد لا يفهمونك إذا تكلمت بالعربية الفصحى.

وللأدب قسمان أساسيان هما الشعر والنثر الفني:

أولاً: الشعر

(بكسر الشين) أحد قسمي الأدب وهما الشعر والنثر الفني ، والشعر هو الكلام الموزون المقفى وهو في مجال النحو أحد المصادر المهمة التي قام عليها في أصل وضعه ونشأته وتكوينه وتكامله، قال الشريف الجرجاني الشعر لغة العلم وفي الإصطلاح كلام مقفى موزون على سبيل القصد والقيد والأخير يخرج نحو قوله تعالى:ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ فإنه كلام مقفى موزون لكن ليس بشعر لأن الإتيان به موزوناً ليس على سبيل القصد،

[1]أبوعبدالله الحسين بن أحمدين الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبعة، **مرجعسابق**، صـ8.

والشعر في إصطلاح المنطقيين: قياس مؤلف من المخيلات والغرض منه أنفعال النفس[1] بالترقيب والتنفير كقولهم الخمر ياقوتة سيالة والعسل مر مهوعة.

الشعر أول ما يلفت النظر إليه ما فيه من وزن الموزون القفى، ولكنه بهذا التعريف يشمل الكتب المنظومة في النحو وسائر العلوم كألفية بن مالك.

وبعضه نظر إلي روح الشعر وموضوعه فعرفه بأنه (فيضان من شعور قوى نبع من عواطف تجمعت في هدؤ).

والحق أن الشعر الصحيح لابد فيه من ركنين:

1. إثارته للشعور.
2. أوزانه الخاصة.

فإذا عرف بأنه الكلام الموزون المفقى المنبعث عن عاطفة والمثير لعاطفة، كان تعريفاً أقرب إلي الصواب.

وقد يطلق النثر الشعري كالنغم في الموسيقى، وهو يعين على إثارة المشاعر، لذلك كان المعنى الواحد إذا قيل مرة شعراً ومره نثراً كان في الشعر أكبر أثراً، بل ترى الشعر إذاحل إلي النثر لم يكن له ذلك الأثر الشعري وليس لهذا من سبب إلا ما في الشعر من موسيقى وهذه الأوزان في الشعر تسمى بحوراً، وهي نحو ستة عشر بحراً عير البحر المتدارك صب فيها كل الشعر العربي إلا القليل كالأوزان الأندلسية مثلاً، وهي تختلف طولاً وقصراً، وتسمى أجزائها بالتفاعيل[2].

خصائص الشعر:

1) أوزانه وقوافيه كما تقدم.
2) ومنها لغته فاللشعر لغة غير النثر وللشاعر ملكة يستطيع بها ان يتخير من الألفاظ مايرى أنها أبعث على إثارة المشاعر وكذلك يستطيع بها أن يصبها في قوالب خاصة يتخيرها من

[1] أبو عبدالله الحسين بن أحمدين الحسين الزوزني،مرجع سابق، صـ17.
[2] **المرجع السابق**، صـ18.

التراكيب الكثيرة وكثيراً ما يحسن لفظ أو تركيب في النثر ولا يحسن في الشعر ويتفاوت الشعراء في تلك المقدرة على الإفصاح ومن ثم كان من المستحيل ترجمة شعر ولغة إلي شعر في لغة أخرى لأن الترجمة تذهب من الشعر من قدرته الفنية وطريقة أدائه والذي يترجم هو المعنى الذي تضمنه الشعر وما فيه من خيال فقط.

3) الشعر يخاطب العواطف بما عند الشاعر من لطف النظر أو إلقائه أو الإلهام، ولعل هذا هو الذي جعل شعراء العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطان ينفث فيه الشعر.

4) والشعر مرآة كل عصر وديوان الأمم تسجل فيه حياتها وأفكارها ومشاعرها قال الراغب الأصفهاني شعر الشعر معروف وجمعه أشعاره[1].

ثانياً: النثر

يدل النثر في اللغة على رمي الشئ وتفريقه، وفي الإصطلاح يدل على الكلام الذي لا تنظمه أوزان العروض وقوافيه.

والنثر في اللغة العربية نثران: عادي يقوله الناس في حياتهم اليومية، ويعبرون به عن أغراضهم على السجية، ونثر فني يرقى به البلغاء عن لغة التخاطب إلي منزلة الفن الراقي والإجادة المتقنة فيغدو توأم الشعر وقسميه، وعن هذا الضرب تتحدث كتب الأدب والنقد ومن المسلم به أن الضرب الأول لغة الناس جميعاً وأن ابناء اللغة يتناقله بالمشاقهة ويتعلمونه بالسماع، ويستوي في تعليمه المتعلم والجاهل وأن الضرب الثاني لغة الخاصة ممن أتوا البلاغة ورهافة الحس والتصرف ومفردات اللغة وتراكيبها وسعة الخيال والقدرة على الإبتكار والتجديد وقد ذكر الباحث أن الأول أسبق من الشعر وان في ظهور الثاني خلافاً، فمن الدارسين من يجعله أسبق من الشعر لأنه وتلك دعواهم أبسط من الشعر فهو خلو من الوزن، خلى الحظ من الخيال يؤثر الحقيقة على المجاز ودقة التعبيير على جماله.

ومنهم من يجعله لاحقاً للشعر لأنه لغة العقل، والشعوب تبدأ شاعرة وتنتهي كاتبة، وتبدأ بالشعر الذي يعني عواطفها، وتنتهي إلي النثر الذي يترجم أفكارها وكلما ترسمت بالعقل أرتقى نثرها وأزدادت فنونه نضجاً وتنوعاً[2].

[1] عرفات الأشقر، مرجعسابق، ص26.
[2] عرفات الأشقر، مرجعساق، ص28.

وللنثر الأدبي ألوان أو فن ومن هذه الفنون عوامل وظروف تساعد على ظهوره وأزدهاره.

ولما كلن العصر الجاهلي ضئيل الحظ من الثقافة والعلوم فأنه لم يظهر فيه من فنون النثر إلا لاقصص والأمثال والوصايا والخطب.

أما المقامة والمقالة والمسرحية فقد تأخر ضهورها إلي مرحلة متأخرة من تاريخ الأدب العربي فيها نضج الفكر وتضافرت العوامل المساعدة على ظهورها.

فالنثر الذي يتسع فيه الخطأ النحوي والصرفي أو يجري على قواعد النحو والصرف ولكن ليس يحوي أفكاراً قيمة ولكنها تعرض عرضاً ردئ الأسلوب مهلهل النسج مختل النظام لايسمى نثراً فنياً لأنه فقد العناصر المكونه له.

والأدب لايعني النثر الفني، وهذا هو الذي يعده قسماً للشعر، وهذا النثر الفني منه مايكون عمادة اللسان وأهم أنواعه الخطابة ومنه عمادة القلم وهو ما يسمى بالكتابة الفنية.

وهذه الكتابة الفنية أنواع، قسمها بعض الكتاب الأوربيين إلي وصف وقصص ذلك أن أهم باعث يبعث الكاتب على الكتابة رغبة التعبير عما يلاحظه في العالم الذي حوله سواء أكان ماحوله أشخاصاً أو أحداثاً أو أشياءن وهو يعبر عن ملاحظاته هذه بأسلوب إحدهماأسلوب وصفي والآخر أسلوب قصصي وأحياناً يمتزج الأسلوبان فيكون تعبيره وصفياً قصصياً معاً كما نشاهده في بعض الرويات تحكي حادثة وفي الأثناء القصة يتعرض الكاتب لوصف الأشخاص أو الأشياء أو الاحداث التي تعرض له، وأحياناً يكون كل منهما منفصلاً عن الآخر، كقصة في وصف منظر طبيعي وقصة لا تعتمد على الوصف[1].

وخلاصته أن الأدب في نظر ابن خلدون ووقف معطيات عصره وهو الإلمام من كل علم بطرف، وهو حفظ المنظوم والمنثور، وبهذا تكون دلالة مصطلح الأدب لم تتخصص بعد فهو الإطعام وهو حسن الخلق وهوالإجادة في فني المنظوم والمنثور لإحتذاء سمت العرب في كلامها وثمرته هي التهذيب والتدريب على إجادة الكلام نظماً ونثراً والقدرة على العيش في المجتمع وفق أعرافه وأخلاقه.

[1] عرفات الأشقر، مرجعسابق، ص28.

الفصل الخامس

الخاتمة وتشمل

الناتئج والتوصيات

الخاتمة

النتائج :

لقد وصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. يرى ابن خلدون أن الملكة اللغُوية ا تعني القدرة الكائنة في الفرد المتحصلة بالتدريب والمران.
2. الملكة اللغوية عند ابن خلدون حركية، كلامية، وحركية وكلامية.
3. جاءت نظرة ابن خلدون في أقواله عن علوم اللسان من واقعه اللغوي.
4. لابن خلدون أراء في تعلم اللغة لا تزال معمولاً بها في التعليم.
5. الملكة في نظر ابن خلدون عقلية وجسمية تكتسب التعليم بالتدرج والمران.
6. أشار ابن خلدون إلي أهمية المصطلح في تثبيت المفاهيم وتوضيحها.
7. أراء ابن خلدون في علوم اللغة تقوم على ربط الأساليب بالعلل وتوضيح النتائج التي قد تترتب عليها.
8. جعل ابن خلدون علوم اللسان مرتبة على أهميتها ووظيفتها وكان النحو في أولها.
9. اعتبر ابن خلدون أهمية الممارسة في تعليم مهارة اللغة وأشار إلى أهمية حفظ جيد الأشعار في تكوين هذه المهارة.
10. عد ابن خلدون قواعد اللغة وسيلة لا غاية وأنما الغاية هي إتقان مهارات اللغة كلاماً وكتابة وقراءة وحسن استماع.

11. الأدب في نظر ابن خلدون في المعنى العام كان يعني الثقافة بمفهومنا المعاصر كما كان يعني في المفهوم الخاص حفظ فني النظم والنثر.

12. الفائدة من الأدب بمفهومه العام والخاص عند ابن خلدون هو تجويد الأداء الكلامي نظماً ونثراً والتدريب على إجادة لغة العرب.

14. الادب في نظر ابن خلدون ليس علما قائماً بذاته وإنما قوامه علوم اللسان العربي والثقافة العامة وهو مفهوم يقرب من المفهوم المعاصر للأدب والنقد.

التوصيات :

يوصى الباحث بما يلي :

1. دراسة مبادئ أبن خلدون في تعليم اللغة والإفادة منها في التعليم .
2. النظر للغة على انها ملكة لسانية ذات مهارات أربع .
3. الإفادة من تدريس الأدب في تنمية مهارة الكلام والكتابة .

فهرست الآيات القرآنية:

اسم السورة	الآية	رقم الصفحة
سورة طه	(25-28)	**39**
سورة البقرة	(31)	**66**
سورة القلم	(1)	**66**
سورة العلق	(1-5)	**66**
سورة الرحمن	(3)	**67**
سورة الشورى	(40)	**73**
سورة الشرح	(3-4)	**82**

قائمة والمصادر والمراجع

أولاً:القرآن الكريم

ثانياً: الكتب والمراجع

1. أبو عبدالله الحسين الزرزوني- شرح المعلقات السبع، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م.
2. أبي الفتح عثمان بن جني- الخصائص، ط1، 2001م.
3. أحمد أحمد البدوي- أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر، ط6، 2004م.
4. أحمد بن أبراهيم ابن مصطفى- جواهر الأدب، دار الكتب العلميةن بيروت- لبنان، ط4، 2012م.
5. أحمد شفيق الخطيب-قرءات في علم اللغة-، ط1، 2006م.
6. أحمد محمد قدوره- مبادئ اللسانيات، ط1، 1997م.
7. أنيس أبراهيم- من أسرار اللغة، ط5، 1975م.
8. جمعة علوة- الكتابة العربية ونشأتها وتطورها، ط1، 2005م.
9. حمد صومان-أساليب تدريس اللغة العربية، ط1، 2010م
10. خالد الزواوي- إكتساب وتنمية اللغة، ط1، 2005م.
11. خالد عبدالرزاق السيد- اللغة بين النظرية والتطبيق، ط1، 2003م.
12. الراجحي عبده- فصول في علم اللغة، دار المعرفة، مصر، ط1، 1997م.
13. ريمون طلحان- الألسنة العربية، دار الكتاب، بيروت- لبنان، 1981م.
14. زكريا ميشال- مباحث في النظرية الألسنة، ط1، 2000م.
15. السعران محمود- اللغة والمجتمع،دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط1، 1992م.
16. سميح أو مغلى وآخرون- دروس في علوم العربية، ط1، 2000م.
17. سيد قطب- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط1ن 2001م.
18. شوقي ضيف- البحث الأدبي، دار المعارف ، القاهرة، ط8، 2001م.
19. صلاح أبو الوليد- اللغة والفكر، ط1،باريس، 2000م.

20. عبدالحميد الدوالخلي ومحمد القصاص- اللغة، القاهرة ، ط1، 1950م.
21. عبدالحميد مجاهد- علم اللسان العربي، ط1، 2010م.
22. عبدالرحمن الحاج صالح- مجلة اللسانيات، مدخل إلي علم اللسان الحديث، ط1، 1971م.
23. عبدالرحمن بن محمد بن خلدون- المقدمة، درا جميل، بيروت- لبنان، ط1، 1998م.
24. عبدالسلام المسدي- التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط1.
25. علي أحمد مدكور- تدريب فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2006م.
26. علي عبدالواحد وافي- اللغة والمجتمع، ط1، دار النهضة المصرية، القاهرة- مصر،1981م.
27. غازي طليحان- الأدب الجاهلي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2، 2007م.
28. فتحي دياب سبيتان- أصول وطرأيق تدريس اللغة العربية، ط1، 1997م.
29. فيصل محمد خير الزاد- اللغة وإضطرابات النطق والكلام، ط1، 2000م.
30. قحطان احمد الظاهر- إضطرابات اللغة و الكلام، ط1، 2010م
31. كمال جبري عبهري وآخرون- اللغة العربية، ط1، 2005م.
32. محمد أحمد أبو الفرج- مقدمة لدراسة فقه اللغة، ط1، بيروت، 1966م.
33. محمد امين الررقاوي- المناهج التعليمة عند ابن خلدون، مجلة الحق، العدد الأول، المغرب،1996م.
34. محمد عزيز الحبابي- تأملات، في اللغو واللغة، ليبا، تونيس ط1، 1980م.
35. محمود السعران- علم اللغة العربي، ط1، 2000م.
36. محمود فهمي حجازي- علم اللغة العربية، مدخل تاريخي، ط1، 2000م.
37. مصطفى صادق الرافعي- تاريخ آداب العرب، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 2007م.
38. مصطفى غلفان- في اللسانيات العامة، ط1، 2010م.
39. نادية رمضان النجار- اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين، ط1، 2000م.

40. هادي نهر– اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ط1، 2011م.
41. وفاء كامل فايد– المجامع العربية وقضايا اللغة، ط1، 2004م.
42. وليد محمودخالص– النقد الأدبي في كتاب الأغاني، دار ساحة للنشر والتوزيع، الأردن– عمان، ط1، 2000م.